مدار السرطان

محمود سالم

مدار السرطان

تأليف
محمود سالم

هنـــداوي

مدار السرطان

محمود سالم

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: وجدان توفيق

الترقيم الدولي: ٦ ٢٦٩٩ ٥٢٧٣ ١ ٩٧٨

صدر هذا الكتاب عام ١٩٨٦.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٢.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي.
جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي محفوظة لأسرة السيد الأستاذ محمود سالم.

المحتويات

من هم الشياطين الـ «١٣»؟	٧
أبطال هذه القصة	٩
الصراع يبدأ في النقطة «ج»	١١
سؤال بلا إجابة	١٧
وتحدَّدَت ساعة الصفر!	٢٥
ثم كانت المفاجأة!	٣٣
صراع تحت المطر	٣٩
«أحمد» يفجِّر سيارة «براك»	٤٥

من هم الشياطين الـ«١٣»؟

إنهم ١٣ فتًى وفتاةً في مثل عمرك، كلٌّ منهم يُمثِّل بلدًا عربيًّا. إنهم يقفون في وجه المؤامرات الموجَّهة إلى الوطن العربي ... تمرَّنوا في منطقة الكهف السِّري التي لا يعرفها أحد ... أجادوا فنون القتال ... استخدام المسدسات ... الخناجر ... الكاراتيه ... وهم جميعًا يُجيدون عدة لغات.

وفي كل مغامرةٍ يشترك خمسة أو ستة من الشياطين معًا ... تحت قيادة زعيمهم الغامض رقم «صفر» الذي لم يرَه أحد، ولا يعرف حقيقته أحد.

وأحداث مغامراتهم تدور في كل البلاد العربية ... وستجد نفسك معهم مهما كان بلدك في الوطن العربي الكبير.

أبطال هذه القصة

رقم «١»: «أحمد» من مصر.

رقم «٢»: «عثمان» من السودان.

رقم «٣»: «إلهام» من لبنان.

رقم «٤»: «هدى» من المغرب.

رقم «٥»: «بو عمير» من الجزائر.

رقم «٦»: «مصباح» من ليبيا.

رقم «٧»: «زبيدة» من تونس.

رقم «٨»: «فهد» من سوريا.

رقم «٩»: «خالد» من الكويت.

رقم «١٠»: «ريما» من الأردن.

رقم «١١»: «قيس» من السعودية.

رقم «١٢»: «باسم» من فلسطين.

رقم «١٣»: «رشيد» من العراق.

رقم «صفر»: الزعيم الغامض الذي لا يعرف حقيقته أحد!

الصراع يبدأ في النقطة «ج»

كان الشياطين يأخذون طريقَهم إلى القاعة الكبرى؛ حيث سوف يُعقَد الاجتماع. ما إن اقتربَ «أحمد» من باب القاعة حتى انفتح، فتَبِعه الشياطين. كان ضوءٌ هادئ يغمر القاعة الصامتة، بينما كانت الخريطة الإلكترونية مطفأة.

أخذ كلٌّ منهم مكانَه، وتعلَّقَت أعينُهم بالخريطة في انتظار أن تظهر المعلومات الأولية التي تبدأ منها المغامرة؛ فقد تعوَّدوا على أن تكون الخريطة هي بداية المعلومات، فعن طريقها يعرفون بدايةً أين سوف تكون مغامرتهم الجديدة، وطبيعة الأرض التي سوف يتعاملون معها، ونوع الملابس التي سوف يلبسونها تبعًا لحالة الطقس هناك، وهكذا. في نفس الوقت يعرفون نوعيةَ المواصلات التي سوف يتنقلون بها. وكانت هذه كلُّها تُمثِّل دائمًا مرحلةً هامة في بداية المغامرة.

كان «أحمد» يَرقُب الشياطين الذين بدَت عليهم ملامحُ القلق، فهو يعرف كيف يفكرون؛ ولذلك فقد ابتسم ابتسامةً جعلَتهم جميعًا يبتسمون؛ فقد عرَفوا من ابتسامته أنهم مقبلون على عمل جديد.

ابتسمت «زبيدة» وهي تقول: هل لا يزال الإلهام في حالة عمل؟ كاد «أحمد» أن ينطقَ ردًّا عليها ... إلا أن الخريطة الإلكترونية أوقفَت الكلماتِ في فمه؛ فقد أُضيئت إضاءة باهرة جعلتهم جميعًا ينظرون إليه في دهشة، فهذه أول مرة تُضاء فيها الخريطة بهذه الطريقة.

بدأت تفاصيل هامة تظهر فوق الخريطة، كانت التفاصيل للأمريكتَين؛ أمريكا الشمالية فوق، وأمريكا الجنوبية أسفل منها. كانت القارتان تَغْرقان في مياه المحيط الأزرق. بدأت سلسلة جبال «الإنديز» تظهر في أمريكا الجنوبية ممتدة من الشمال إلى الجنوب. ظلَّت أعين الشياطين معلَّقة بامتداد الجبال، عند نهايتها ظهرَت مرتفعاتُ «جيانا»، التي تغطِّي معظم المساحة في جمهورية «فنزويلا».

إن الشياطين يعرفون أن مرتفعات «جيانا» امتدادٌ لسلسة جبال «الإنديز» ... أخذت تفاصيل «فنزويلا» تتحدد أكثر، ظهرت بحيرة «ماراكيبو»، إن هذه المنطقة حول البحيرة تُمثِّل ثروة «فنزويلا» الحقيقة؛ فهناك توجد آبار البترول التي تعتبر أهم صادرات البلاد. ظهرَت مدينة «كراكاس» وهي عاصمة «فنزويلا». نظر الشياطين إلى بعضهم. إن هذه التفاصيل تعني أن المغامرة سوف تكون في «فنزويلا»؛ فلم تظهر حتى الآن أيُّ تفاصيل عن أمريكا الشمالية.

تحدَّدت أيضًا خطوط الطول والعرض، إن «فنزويلا» تقع بين خطَّي طول ٦٠ و٧٥ درجة، وبين صفر و١١ درجة عرض. وهذا يعني أنها تقع في المنطقة الاستوائية حيث يمرُّ خطُّ الاستواء، في نفس الوقت ظهر المحيط الأطلنطي في شرق البلاد، والبحر الكاريبي شمالًا، وفيه جزر «الأنتيل» الصغرى، أما غرب «فنزويلا» فتقع كولومبيا، وفي الجنوب جمهورية «البرازيل» الآن.

تأكد الشياطين أن ميدان المغامرة هو «فنزويلا» فعلًا ... إن الشياطين يعرفون أن طبيعة هذه البلاد صعبة تمامًا، وأنهم سوف يدخلون مغامرة جديدة عليهم. ولكن ما هي طبيعة هذه المغامرة؟ ... كان هذا السؤال الذي تردَّد في أذهان الشياطين.

إنهم يذكرون مغامرات سابقة لهم في أمريكا الجنوبية، لعل أقربها مغامرتهم في «بيرو»، فجأةً قطع أفكارَ الشياطين صوتُ أقدام رقم «صفر» يقترب، تعلَّقت أعينُ الشياطين بصوت الخطوات التي توقَّفت لحظة ثم صوت الزعيم يرحِّب بهم، توقَّف بعد كلمات الترحيب ثم قال: إن المغامرة الجديدة ليست شيئًا مذهلًا أو مخيفًا؛ فقد قمتم بمثلها عشرات المرات. إن المثير فيها هو ذلك المكان الصعب والظروف الجوية التي يمكن أن تكون أكثرَ صعوبة، خصوصًا وأننا لا نستطيع الانتظار.

صمتَ قليلًا ثم أضاف: أنتم تعرفون — طبعًا — طبيعةَ هذه الأرض الجبلية في معظمها، وهذا لن يُعطيَكم فرصةَ استخدامِ السيارات للوصول إلى المنطقة، غيرَ أن مدينة «كومانا» يمكن أن تكون بدايةَ انطلاقِكم. إن المدينة تقع على ساحل البحر «الكاريبي»، وهي تبعُد عن نهر «أورينوكو»، وإذا كانت هذه هي طبيعة الأرض هناك، فإن الظروفَ المناخية لن تكون في صالحكم؛ لأن المنطقة استوائية، فإن المطر يكون غالبًا في شهور «يونيو» و«يوليو» أكثر، وللأسف فإن عليكم أن تنطلقوا إلى هناك الآن، ونحن في شهر «يوليو».

سكت رقم «صفر» وتردَّد صوتُ أوراق تُقلَب. بعد لحظة قال: إن عصابة «سادة العالم» وضعَت خطةً لتدبير انقلاب «فنزويلا»، والاستيلاء على آبار البترول هناك، وهي

ترمي من وراء ذلك إلى إغراق السوق العالمي بمزيد من البترول، وأنتم تعرفون أن السوق العالمي قد شَهِد هبوطًا شديدًا في أسعار البترول في الفترة الأخيرة، وقد أثَّر هذا إلى حدٍّ مخيف على أسعار البترول العربي؛ مما أثَّر على اقتصاديات بلادنا العربية. وعندما تقوم عصابة «سادة العالم» بإغراق السوق العالمي بمزيد من ملايين الأطنان من البترول ... فإن ذلك سوف يجعل سعرَ البترول في مزيد من الانخفاض، وهذا يسبِّب كارثة بلا شك.

صمتَ الزعيم مرة أخرى، والتقَت أعينُ الشياطين. إنهم إذن مقبلون على مغامرة خطيرة؛ ففيها مستقبل المنطقة العربية، والبترول العربي.

جاء صوت رقم «صفر» يقول: إن عملاءَنا في أمريكا الجنوبية قد أرسلوا تقاريرَهم التي تؤكِّد أن العصابة سوف تتحرك في شهر «يوليو»، عندما تغطِّي البلادَ هناك الأمطارُ الموسمية، غيرَ أن حركتَهم مرهونةٌ بخطة مرسومة يملكون أوراقها، فهي التي سوف تتحرك على أساسها قُوَّاتُهم، وأنتم تعرفون ما تملكه عصابة «سادة العالم».

إن خطة العصابة، لم تَصِل إلى قواتها بعد، وعليكم الوصول إلى هذه الخطة قبل أن تَصِل إلى قوات العصابة.

صمت رقم «صفر» ومرَّت دقائق بدَت وكأنها ساعاتٌ طويلة. كان الشياطين يفكِّرون خلالها في عصابة «سادة العالم» التي طالما تعاملوا معها، فهي ليست جديدة عليهم.

ومن جديد جاء صوتُ رقم «صفر»: إن قوات «سادة العالم» لا تزال خارج «فنزويلا»، وهي سوف تدخلها تبعًا للخطة، فإذا استطعنا أن نحصل على خطَّتِهم يصبح أمامنا موقفان ... إما أن نضع خطةً مقابلة للقضاء على القوات في حالة تحرُّكِها، وإما أن نمنع تحرُّكَ القوات من البداية ... فلا تدخل «فنزويلا» وتظل في أماكنها ...

وتردَّدت إشارة ضوئية من أعلى الخريطة الإلكترونية، فقال الزعيم: سوف أترككم لحظة؛ يبدو أن هناك رسالة هامة في الطريق ...

أخذت أصوات أقدام رقم «صفر» تبتعد حتى اختفت تمامًا. نظر الشياطين إلى بعضهم، لم يكن هناك ما يمكن أن يُقال؛ فالعمل هو المطلوب الآن؛ ولذلك ظلَّت نظراتُهم تحمل معنى الرغبة في الانطلاق، فجأة قطع الصمتَ صوتُ رقم «صفر» يقول: إن هناك أنباءً هامةً سوف آتيكم بها بعد قليل ... التقَت نظراتُ الشياطين من جديد ... قال «عثمان»: إن أمامنا عملًا عظيمًا في مغامرتنا الجديدة.

ردَّت «إلهام»: وشاق في نفس الوقت.

قطع الحوارَ صوتُ أقدام رقم «صفر» فتعلَّقت أعينُ الشياطين بمصدر الصوت ... وعندما توقَّفَت الأقدام، أمسك الشياطين بأنفاسهم. إن أخبارًا جديدة تعني كشفًا جديدًا في المهمة الصعبة.

قال رقم «صفر»: لقد تحدَّدت ساعة الصفر. إن أحد رجال العصابة سوف يتحرك بعد غد في طريقه إلى خارج البلاد لتوصيل خطة العصابة إلى القوات، وسوف ينطلق من نقطة «ج». إن مهمة الشياطين تحدَّدت إذن في هذا الرجل الذي يحمل الخطة، وهو رجل لم يتحدَّد بعدُ، ولا نعرف شيئًا عنه، وهذه هي الصعوبة الجديدة في المهمة.

سكت رقم «صفر» ... بينما كان «أحمد» مستغرقًا في تفكيره ... إن رجلًا غيرَ معروف في منطقة شاسعة نائية يُصبح هدفًا شديدَ الصعوبة.

قطع تفكيرَه صوتُ رقم «صفر»: سوف تكون اتصالاتُكم بعملائنا هناك، بجوار أن عملاءَنا في أمريكا الشمالية سوف يكونون في انتظارِ أيِّ شيء يقومون به، وسوف تظل اتصالاتُنا مستمرة، فربما حدث شيءٌ جديد.

سكت لحظة ثم أضاف: إنني في انتظار أسئلتكم.

مرَّت لحظاتٌ سريعة لكن أحدًا من الشياطين لم يكن لديه ما يمكن أن يقولَه ...

قال الزعيم: إنني في انتظار نتائج ناجحة في مهمتكم. ثم أضاف بعد لحظات: إن «أحمد» و«عثمان» و«بو عمير» و«هدى» و«خالد»، سوف يقومون بالمغامرة الجديدة ... وعلى بقية الشياطين أن يكونوا مستعدِّين، فنحن لا نعرف ماذا سوف يحدث، وربما طار آخرون إليهم للاشتراك في المهمة، أتمنَّى لكم التوفيق.

في الوقت الذي بدأَت فيه أصواتُ أقدام رقم «صفر» تبتعد، كان الذين وقع عليهم الاختيار يمتلئون سعادة؛ فالشياطين تسعدهم دائمًا المغامرات الصعبة. أخذ الشياطين طريقَهم للخروج، واتجهوا مباشرةً إلى حجراتهم لإعداد حقائبهم السرية، عندما أغلق «أحمد» بابَ حجرته كان يفكر في شيء واحد هو النقطة «ج» ...

قال في نفسه: هل هي نقطة سرية، أو أنها رمز لمكان محدد؟ ...

ظل السؤال يتردَّد في خاطره، بينما كانت يداه تعملان في تجهيز الحقيبة، إنه يعرف أن المنطقة التي سوف يتحركون منها تحتاج إلى أشياءَ محددة؛ مصباح إلكتروني، خناجر، قنابل دخان، أسلاك، وهكذا أخذ يجهِّز حقيبتَه.

لكن فجأةً لمع خاطرٌ في رأسه، جعل يدَيه تتوقفان عن العمل، كان هذا الخاطر هو: هل تعني النقطة «ج» مرتفعات «جيانا»؟!

أخذ يقلِّب السؤالَ في ذهنه: إن العصابة قد اختارت «فنزويلا» بالذات لتشنَّ منها حربَ البترول، وما دامت قد اختارَتها فسوف تختار مقرَّ قيادتها داخل البلد نفسه، وهي لن تجازفَ بوجود المقر في «كراكاس» العاصمة مثلًا، أو في أيِّ مدينة أخرى، وهي لهذا سوف تختار منطقة نائية، حتى لا تكشفَ نفسها، وحتى تكون بعيدة عن مناطق الأمن؛ ولهذا تصبح منطقةُ مرتفعات «جيانا» هي أنسب مكان، خصوصًا وأنها ليست بعيدة عن منطقة آبار البترول …

ارتاح «أحمد» لوصوله إلى هذه الإجابة؛ ولذلك قال في نفسه: إن منطقة المرتفعات سوف تكون مكانًا طيبًا للصراع …

بدأت يداه تعملان بسرعة، حتى انتهى من إعداد الحقيبة، وحتى يحدِّد لبقية المجموعة موعدًا للقاء في منطقة السيارات، حيث ينطلقون في مغامرتهم الجديدة.

عندما انتهى من تجهيز حقيبته أسرع إلى جهاز «الفيديو» الصغير في حجرته، ثم ضغط عدة أزرار فظهرت خريطة على شاشة التليفزيون، كانت الخريطة لفنزويلا. أجرى بعضَ الحسابات ثم ضغط زرًّا في جهاز «الفيديو»، ثم رفع عينَيه إلى الخريطة وملأَت وجهَه ابتسامة؛ فقد تحدَّدَت دائرةٌ حمراء حول منطقة مرتفعات «جيانا»، وقال في نفسه: لقد أصبت، لقد حدَّد الكمبيوتر منطقةَ مرتفعات «جيانا» كمكان لمقرِّ عصابة «سادة العالم».

رفع سماعة التليفون وتحدَّث إلى «عثمان» الذي ردَّ مباشرة: نحن جاهزون.

وبسرعة كان يأخذ طريقَه إلى حيث نقطة اللقاء.

سؤال بلا إجابة

كان الوقت حوالي الظهيرة ... عندما انطلقَت سيارةُ الشياطين من المقر السري. وفي داخل المقر كان بقيةُ الشياطين يجلسون أمام شاشة تليفزيون تنقل لهم صورةَ السيارة، وهي تحمل مجموعة المغامرة في طريقها إلى حيث يقع الصراع.

قال «مصباح»: لقد تمنيت أن أكون مع المجموعة.

ردَّ «قيس»: مَن يدري، قد يتم استدعاؤك في أيِّ لحظة؛ فالمغامرة ليست سهلة ... وقد تحتاج إلى مجموعة أخرى ...

ولم يعلِّق أحدٌ من الشياطين، كانوا فقط يتابعون السيارة، وهي في طريقها تحمل مجموعة المغامرة ... أما داخل السيارة فقد كان «أحمد» يراقب الطريقَ الممتد حتى نهاية الأفق، بينما جلس «خالد» إلى عجلة القيادة ...

قالت «هدى»: إن الوقت ضيقٌ تمامًا؛ فنحن ينبغي أن نكتشف كلَّ الأشياء في ليلة واحدة.

ردَّ «بو عمير»: إن ذلك يجعل من الشياطين القوة الحقيقية التي تخشاها كلُّ العصابات بما فيها «سادة العالم».

أضاف «أحمد»: إن ضيق الوقت لا أعتبره ضدَّنا، بالعكس إنه في صالحنا تمامًا، فالعصابة سوف تظنُّ أن ضيقَ الوقت لا يعطي لأحد فرصةً للتحرك؛ وذلك يعني أنهم ينفذون خططَهم بطريقة صحيحة؛ فلو أن خطَّتَهم قد اكتُشفت لتغيَّر الموقف.

لم تعلِّق «هدى» وغَرِق الآخرون في أفكارهم. كان عقرب الساعة في تابلوه السيارة يُشير إلى الواحدة عندما انطلقت السيارة.

نظر «عثمان» إلى الساعة، وكانت تُشير إلى الثانية، فقال: إن أمامنا ساعةً أخرى قبل أن نَصِل إلى المطار.

لكنه ما كاد ينطق جملتَه حتى لمع ضوءٌ قويٌّ في عينَي «خالد» جعل عجلة القيادة تهتزُّ في يده ... وصرخ «أحمد»: لا تضَعْ قدمَك على الفرامل. وكان هذا تصرُّف «خالد» فعلًا حتى قبل أن ينطق «أحمد» ... خرجَت السيارة عن الطريق إلا أنها ظلَّت متقدمةً في خطٍّ مستقيم، ولم يفعل الشياطين شيئًا؛ فإن ما حدث كان مفاجأة تمامًا. نظر «أحمد» خلفه كان الضوء المبهر لا يزال موجودًا ...

سأل «بو عمير»: هل هي مجرد سيارة عادية؟

ردَّ «أحمد» بسرعة: لا أظن ذلك، وهذه مسألة شديدة الخطورة.

أوقف «خالد» السيارة، لكنها كانت بعيدة تمامًا عن الطريق ... فتح «أحمد» الباب وقفز بسرعة، وتَبِعه «بو عمير» و«عثمان» في الوقت الذي أدار «خالد» السيارة في اتجاه الطريق الرئيسي مرة أخرى، أخرج «أحمد» منظارَه المكبَّر واتجه إلى مصدر الضوء، كان لا يزال ساطعًا كما هو.

قال «عثمان»: لا أظن أننا ينبغي أن ننطلق دون أن نعبأَ به ... بسرعة أخرج «أحمد» جهاز اللاسلكي الصغير، وأجرى اتصالًا مع المقر السري، في نفس اللحظة كان الضوء قد اختفى تمامًا، إلا أن رقم «صفر» قال لـ «أحمد»: لا تجعلوا شيئًا يعطِّلكم ودعونا نرى.

نقل «أحمد» الرسالة إلى بقية المجموعة فأسرعت إلى السيارة التي كانت بجوارهم فعلًا ... وعندما ركبوها، وأخذوا اتجاهَ الطريق الصحيح، ظل سؤال يتردد في أذهانهم: ما معنى هذا الضوء المفاجئ الذي كاد يؤدي إلى كارثة؟ وهل له علاقة بالمغامرة الجديدة؟!

لم تستطع «هدى» أن تكتم السؤال، فطرحته على المجموعة ... قال «خالد»: أظن أنه ضوء بلا هدف ...

قال «عثمان»: هي مسألة تحتاج إلى تفكير، فلا أظن أنه ضوء تائه.

قال «بو عمير»: ربما يكون أحد الحيوانات الهائمة في الصحراء.

سألت «هدى» بدهشة: كل هذا الضوء؟!

ردَّ «بو عمير»: ربما يكون ضوء ما على عينَيه ... ضوء الشمس مثلًا.

انطلقت السيارة في طريقها. كان ثمة خاطر يتردَّد في رأس «أحمد»: إن ضياع بعض الوقت في الطريق أمام مثل هذه المفاجآت هل يكون له علاقة بالمهمة التي خرجوا من أجلها خصوصًا وأن الوقت ضيق ...؟

استبعد «أحمد» أن يكون هذا الضوءُ مقصودًا أو له علاقة بالمغامرة. لكن فجأة، ظهرَت سيارة ضخمة في طريقها للاصطدام بسيارة الشياطين، أسرع «خالد» وانحرف بسرعة،

لكن السيارة الأخرى كانت من الطول، بحيث اصطدمت سيارةُ الشياطين بمؤخرتها. طارت سيارة الشياطين في الهواء ثم نزلت على الأرض وانقلبت عدة مرات، حتى استقرت في النهاية على الأرض، خرج الشياطين بسرعة لكن السيارة الأخرى كانت قد اختفت برغم ضخامتها، لم تكن سيارة الشياطين قد تأثرت بالصدمة، فهي مجهَّزة ضد الصدمات كذلك ... فالشياطين أيضًا لم يُصَب أحدٌ منهم بسوء ... فالسيارة مجهَّزة من الداخل لمثل هذه الحالات ... وبسرعة أرسل «أحمد» رسالة شفرية إلى المقر السري، حتى إن «خالد» سأله: ولماذا رسالة شفرية؟

وبسرعة جاءت رسالة رقم «صفر»، شفرية أيضًا تقول: استمروا في طريقكم، إننا نقوم بمسح المنطقة.

من جديد أخذت السيارة طريقَها، نظر «خالد» في ساعة السيارة، وقال: لقد ضاعت ساعة.

قال «أحمد»: لا يهمُّ ... ارفع سرعة السيارة ...

ضغط «خالد» قدمَ البنزين فانطلقت السيارة بسرعة مجنونة، كانت «هدى» تفكِّر: إن هذه السرعة يمكن أن تتسبَّب في فشل المغامرة تمامًا ... توقَّفت لحظة ثم فكَّرت: إن ظهورَ أيِّ شيء مفاجئ مع هذه السرعة لن يعطيَ «خالد» فرصة التصرف ...

في نفس الوقت كان «أحمد» غارقًا في تفكيره حول ما حدث، كان يقلب الأمر: هل ما حدث صدفة أو أنه مسألة مقصودة.

نظر له «عثمان» وقال: ينبغي أن نعرف حقيقة ما يحدث، حتى يكون في حسابنا ...

ردَّ «أحمد»: هذا صحيح.

أرسل رسالة شفرية بهذا المعنى إلى المقر السري وانتظر ... جاءَه ردٌّ يقول: استمر، سوف نعود إليك بعد أن يتمَّ تمشيط المنطقة ...

كان «خالد» يركِّز انتباهه تمامًا ... فما حدث في مرتين متتاليتَين، الضوء المبهر والسيارة الضخمة جعله يخشى ظهورَ شيءٍ جديد فجأة مرة أخرى، وربما يكون في ذلك شيءٌ خطير على الأقل تأخرهم عن مهمتهم؛ ولذلك فعندما سألَت «هدى»: ألَا يمكن تخفيض السرعة عند حدٍّ معقول، حتى يمكن تلافي المفاجآت ... لم يسمعها ... فقد ركَّز كلَّ حواسه في الطريق ...

فجأة جاءَت رسالةٌ من المقر السري: لا شيء هناك غير عادي، إنها مسألة مصادفة لا أكثر، كلُّ شيء على ما يرام!

عندما نقل «أحمد» الرسالة إلى بقية الشياطين قال «عثمان»: ما زلتُ غيرَ مطمئن!

هتفَت «هدى» في دهشة: «عثمان» هل تشكُّ في معلومات المقر السري؟

لم يردَّ بينما نظر «أحمد» إليه نظرةَ معاتبة ... إلا أن ما حدث لم يكن يفوت هكذا ببساطة خصوصًا عندما حدث فجأةً دَوِيٌّ طلقات في اتجاه السيارة، ولولا أن السيارة كانت ضدَّ الرصاص لحدثَت أشياءُ أخرى خطيرة.

كان صوت اصطدام الطلقات مسموعًا داخل السيارة، حتى إن «عثمان» قال: إنني لا أصدِّق أن ما يحدث مصادفة، لا بد أن شيئًا ما يحدث في هذه المنطقة! ... وبرغم أن طلقات الرصاص استمرت، إلا أن أحدًا لم يستطع أن يحدِّد مصدرها بالضبط، كانت طلقات الرصاص تأتي من أكثر من مصدر، لكن دون أن يظهر مَن أطلقها.

قال «خالد»: هل نستمر ... أم أن المقرَّ السريَّ له رأيٌ آخر؟

قال «أحمد»: دَعْنا في طريقنا؛ إن لنا مهمةً أخرى.

في نفس اللحظة، أرسل رسالة شفرية إلى المقر السري، ومن جديد جاءَه الرد: استمرَّ لا تجعلوا شيئًا يعيق وصولَكم إلى هدفكم.

استمع الشياطين إلى رسالة رقم «صفر» ثم قال «بو عمير»: هل يمكن أن تحدث هذه المسألة بالصدفة؟!

ردَّ «عثمان»: إنني لا أتصور هذا ... هناك شيء ما يحدث ضدَّنا، وضد المقر السري؛ إنني أكاد أقول إن عصابة «سادة العالم» لديها ما يؤكِّد أننا في الطريق إليهم.

لم يستطع «أحمد» أن يقول شيئًا، إن تكرار هذه الأحداث جعله لا يستطيع أن يجزم بردٍّ ... غير أنه في النهاية لا يستطيع إلا أن يستمرَّ من أجل الوصول إلى الهدف الذي خرجوا من أجله ... وهو هدف عظيم ...

فجأةً ... دوَّى انفجارٌ جعل سيارة الشياطين تهتزُّ لعنف الانفجار، وارتفعَت سحابة من الرمال غطَّت الطريق أمام «خالد»، حتى إنه خفض سرعة السيارة، وهو يحاول أن يرى الطريق ... ففي هذه الحالة يمكن أن يصطدمَ بأيِّ شيء ...

نظر الشياطين إلى بعضهم، وقالت «هدى»: كأننا نشترك في فيلم سينمائي ... إنني لا أتصور أن يحدث هذا ... وقريبًا من المقر السري ... من الضروري أن يكون هناك هجومٌ على المقر.

قال «عثمان»: لقد كنت أشك منذ قليل ... غير أنني متأكد الآن ... في أن ما يحدث ليس مسألة عادية ...

أوقف «خالد» السيارة ... فنزل «أحمد» بسرعة ... وقف يرقب بقايا سحابة الرمال التي أثارها الانفجار، ولم تمرَّ لحظة حتى كان «أحمد» يطير في الهواء؛ فقد انفجر شيء بجوار قدمَيه ... نظر الشياطين إلى «أحمد»، وقد علَت الدهشةُ وجوهَهم ... وقف «أحمد» بسرعة، كان يبدو مذهولًا: ما هذا الذي حدث؟ هل هناك هجومٌ حقيقي؟! نظر إلى ساقَيه — ولم تكن هناك أية إصابة — أخذ يتحسَّس ساقَيه وقدمَيه لكن لا شيء ... عاد إلى السيارة، حيث كان الشياطين يقفون بجوارها ... كانوا ينظرون إليه في دهشة، وكان هو ينظر إليهم دون فهم، لم يَعُد أحدٌ يستطيع أن يقول شيئًا ... أو يفهم شيئًا ...

ما معنى هذا ... رصاص ... وانفجارات ... وأضواء مفاجئة ... وسيارات ضخمة ... ماذا هناك؟ إن ذلك في حدِّ ذاته مغامرة ...

قال «عثمان»: هل نُرسل إشارة إلى المقر؟

نظر له «أحمد» ولم يردَّ؛ فقد تصور أن الردَّ سوف يكون بنفس الطريقة: تقدموا إلى الهدف ولا تَدَعوا شيئًا يعطلكم، وسوف نرى.

قال «بو عمير»: أظن أننا يجب أن نُبلغَ المقرَّ السري، وعليه أن يتخذ ما يراه، أما نحن فسوف ننطلق إلى هدفنا خصوصًا وأن الوقت يمر، وقد يصل إلى لحظة لا يمكن معها عملُ شيء وتكون عصابة «سادة العالم» قد حققت أهدافها، ويكون البترول العربي، قد أُضير مرة أخرى.

قال «أحمد» بعد لحظة: ينبغي أن نفعل ذلك، أرسلْ إشارة إلى المقر، ودَعْنا في طريقنا إلى هدفنا المرسوم.

قفز «أحمد» داخل السيارة؛ فتبعه الآخرون، وعندما كان «بو عمير» يُرسل إشارة إلى رقم «صفر»، كان «خالد» يدوس قدمَ البنزين بقوة، جعلت السيارة تنطلق، بأقصى سرعتها ...

كانت الإشارة التي أرسلها «بو عمير» شفرية، تقول «٦ – ١٧ – ٢٦ – ٤ – ٦ – ١٢» وقفة «٤ – ١٦ – ٧٠ – ١٦ – ١٨» وقفة «٨–١٦–١٢–١٥» وقفة «١٩ – ٦ – ١١ – ٦» وقفة «١٨ – ١٧ – ٦ – ٢٩» وقفة «١٩ – ٦ – ١٨ – ٧٠» وقفة «٦ – ٦٠ – ٥٠ – ٦ – ١٩ – ٣» انتهى.

انتظر الشياطين وصولَ ردِّ رقم «صفر»، كانوا في حالة صمت تامة، في نفس الوقت كانوا في حالة تحفُّز؛ فهم يتوقعون حدوثَ شيء في أية لحظة، ومَن يدري قد تنفجر السيارة في أيِّ وقت، أو تقذفهم طائرة بصاروخ.

كلُّ الاحتمالات بدءوا يضعونها في حسبانهم، فما حدث لم يقع لهم من قبل أبدًا، انقضى الوقت حتى بدأ «أحمد» يخشى أن يفوت كلُّ شيء، نظر في ساعة السيارة ثم نظر في ساعة يده، كانت عقارب الساعتَين تُشير إلى توقيت واحد.

قالت «هدى»: أخشى أن يمرَّ الوقت.

ردَّ «أحمد»: لا يزال الوقت في صالحنا، ما لم تعطِّلنا أحداثٌ جديدة.

همس «عثمان»: مَن يدري، ماذا يمكن أن يحدث الآن؟

تنهَّد «أحمد» وهو يقول: لقد تأخَّر ردُّ المقرِّ السري، لا بد أن يكون شيء قد حدث.

أضاف «خالد»: أخشى أن يكون المقرُّ نفسه قد تعرَّض لخطر ما.

التقَت أعينُ الشياطين، كانت الجملة التي قالها «خالد» تُثير الشك، وبدءوا يفكرون: هل يمكن أن يتعرَّض المقرُّ لأيِّ هجوم؟ ... إن المقرَّ في مكان لا يعرفه سوى الشياطين والزعيم والعاملون داخله ... حتى العملاء في جميع أنحاء العالم لا يعرفون مكانه ...

كانت لحظات قلقة، جعلَت «عثمان» يقول: هل نُرسل إلى الزعيم مرة أخرى؟ ...

تردَّد «أحمد» قبل أن يقول: لا أظن ...

قال «بو عمير»: هل تكون الرسالة قد تعطلت؟

قالت «هدى» بسرعة: ماذا تعني؟

ردَّ «بو عمير»: أعني أن تكون جهة ما قد التقطَتها.

قال «أحمد»: لا أظن؛ فهذه شفرة جديدة لم تُستخدم بعد، وهذه أول مرة نستخدمها فيها.

تساءَل «خالد»: هل تجد مبررًا معقولًا لتأخُّر ردِّ المقر؟

ردَّ «أحمد»: لا أظن أنه يوجد مبررٌ معقول، ما لم يكن مبررًا خطيرًا، وأنا أستبعد ذلك تمامًا.

ظهرت ملامحُ المدينة من بعيد، فتنفَّس «أحمد» في عمق، وهو يقول: أخيرًا لقد وصلنا ... لقد كانت رحلة صعبة ...

قال «عثمان»: وهي لا تزال كذلك، حتى يَصِلَنا ردُّ المقرِّ السري.

قطعَت السيارة طريقَها إلى المطار. وعندما توقَّفت السيارة أمام صالة السفر، قفزوا بسرعة، وأخذوا طريقهم إلى الداخل. في نفس الوقت كان صوت المذيعة الداخلية يُعلن عن قيام الطائرة المتجهة إلى «نيويورك» بعد ربع ساعة.

تنفَّس «أحمد» بارتياح، وهو يقول: أخيرًا وصلنا في الوقت المناسب.

أخذوا طريقهم إلى صالة الإقلاع، حيث يستقلون الطائرة إلى «نيويورك» ومنها إلى «كراكاس».

وعند باب الدخول ... قدَّموا جوازات سفرهم إلى الضابط الذي ألقَى نظرةً سريعة عليها، ثم أعادها لهم.

لاحظ «أحمد» حركةً سريعة من الضباط ... لم يلحظها الشياطين؛ فقد دسَّ له ورقة صغيرة في جواز سفره. وعندما دخل جذب الورقة وقرأها بسرعة.

لقد كانت رسالة من المقر السري، لكنه لم ينقلها إلى الشياطين، فقد فكَّر أن يؤجلها حتى ينتهوا من مغامرتهم، لقد كانت رسالة طريفة سوف يضحك منها الشياطين كثيرًا.

وتحدَّدَت ساعة الصفر!

لم يتباعد الشياطين داخل الطائرة كعادتهم؛ فقد جلسوا في صفٍّ واحد. كانت «هدى» تجلس بجوار «أحمد»، أما «عثمان» و«بو عمير» و«خالد» فقد جلسوا معًا، لم يكن يَدُر في خاطرهم شيءٌ الآن، إلا أن يصلوا إلى «كراكاس»؛ فقد انقضى جزءٌ من الوقت بجوار أن الرحلة إلى «نيويورك» سوف تستغرق وقتًا طويلًا يتجاوز العشر ساعات، ومع ذلك فإن «عثمان» لم يستطع أن ينسى السؤال: «لماذا لم يردَّ المقرُّ السري؟» ... إلا أن «خالد» قال: ينبغي أن تنسى هذه المسألة ... إننا في اتجاهنا إلى قضية أخرى ...

في نفس الوقت كانت «هدى» تهمس إلى «أحمد»: لقد تأخر ردُّ المقر السري!

ابتسم «أحمد» وهو يقول: إننا في الطريق إلى مهمة، حاولي ألَّا تشغلي بالَك بشيء آخر.

أخرج من حقيبته السرية كتابًا صغيرًا ثم استغرق فيه. كان الكتاب يتحدث عن حرب العصابات في الغابات والأحراش والصحراء.

لقد كان «أحمد» يجهِّز نفسه فعلًا للمغامرة الجديدة المجهولة، في نفس الوقت استسلم «عثمان» و«خالد» و«بو عمير» للنوم، وهذه عادة الشياطين أن ينتهزوا فرصة النوم؛ فلا أحد يعرف متى سوف ينامون مرة أخرى، خصوصًا أمام مغامرة من هذا النوع، فلا يوجد أيُّ وقت يمكن أن يفكروا فيه في الراحة.

ألقَت «هدى» نظرة إليهم ... ثم ابتسمت؛ فقد أغمض كلٌّ منهم عينَيه، وبدَت الراحة الكاملة على وجوههم ... مرَّت دقائق وبدأت هي الأخرى تتثاءَب، ثم استسلمت للنوم، بينما ظل «أحمد» مستغرقًا في كتابه استغراقًا كاملًا، ولم يشعر بعد وقت أنه وضع الكتاب في جيبه الداخلي ثم استسلم هو الآخر للنوم ... كانت الطائرة قد قطعَت شوطًا طيبًا في طريقها، وبدأ الليل يهبط فأُطفئَت أنوار الطائرة الداخلية، ثم أُضيئَت شاشة صغيرة في صدر الطائرة، وبدأ عرض أحد الأفلام، فتح «أحمد» عينَيه ثم ابتسم، لم يكن يدري أنه قد

نام، نظر إلى الشياطين وكانوا جميعًا مستغرقين في النوم، ألقى نظرة على الشاشة فشدَّت انتباهَه أحداثُ الفيلم.

كان فيلمًا حربيًّا، تدور أحداثه داخل الغابات، قال لنفسه: إن الأمورَ كلَّها تساعد على الاستعداد للمغامرة الجديدة، ويبدو أن رقم «صفر» كان يعني ما فعله فعلًا، ولا بد أنها مغامرة شاقة حتى يلجأ رقم «صفر» إلى ما حدث.

عاد «أحمد» بتركيزه مرة أخرى واستغرق في مشاهدة الفيلم، كان اسم الفيلم «مدافع نافلرون» ... ويدور حول مجموعة من العسكريين يقومون بمهمةِ تفجيرِ مدفعٍ هامٍّ يؤرِّق تقدُّمَ جنودهم؛ لأنه يضرب قذائفَه في مكان لا يستطيع أحدٌ أن يصلَ إليه، ولا يظهر لأحد أبدًا، وأنهم إذا لم يستطيعوا تفجير المدفع، فلن يكسبوا الحرب.

ظل «أحمد» يتابع الفيلم، وعلى وجهه ابتسامة هادئة؛ فالمغامرة الجديدة تُشبه إلى حدٍّ كبير قصةَ هذا الفيلم؛ فالشياطين إذا لم يكسبوا مغامرتهم فإنهم لن يكسبوا الحرب، وسوف تكسب عصابة «سادة العالم» كلَّ المعركة. انتهت الساعات وعندما كان صوت مذيعة الطائرة تطلب منهم ربطَ الأحزمة عرفوا أن مطار نيويورك قد اقترب تمامًا، ولم تمضِ نصف ساعة حتى كانت الطائرة تضرب بعجلاتها أرضَ المطار الكبير.

كان الوقت يقترب من الليل، والمطار يغرق في الأضواء المبهرة، حتى يبدوَ وكأنه بقعةُ ضوء كبيرة. وعندما سكنت الطائرة تمامًا أسرع الشياطين بمغادرتها، متجهين إلى خارج المطار، ولم تستغرق الإجراءات وقتًا، فأصبحوا خارج المطار، وقفوا ينظرون حولهم؛ فهم يعرفون أنه لا تزال أمامهم ثلاثُ ساعات حتى تنزل طائرة أخرى إلى «كراكاس».

فجأةً ... اقترب واحد منهم، وألقى تحية المساء بإنجليزية صحيحة. ردَّ عليه «أحمد».

قال الرجل: هل تصاحبونَني هذه الساعات؟ ... لم يردَّ أحدٌ مباشرة ... وفي نفس الوقت ابتسم الرجل، ثم ذكر اسمًا جعل الشياطين يبتسمون جميعًا؛ فقد عرفوا أنه أحد عملاء رقم «صفر» ...

قال الرجل بعد لحظة: إن لديَّ أنباءً هامة بالنسبة لكم.

ثم أضاف: ينبغي أن نبتعد قليلًا عن المكان، فمَن يدري قد يكون هناك مَن يراقبنا؟ ...

في دقائق كانوا يستقلون سيارة، مبتعدين عن المطار. وفي الطريق قال الرجل: إن الوقت يجري بسرعة حتى يبدوَ وكأنه يكاد يكون في غير صالحنا.

نظر «أحمد» إليه لحظة ثم قال: ينبغي أن نجلس في مكان ما ... أشعر أنني في حاجة إلى فنجان من الشاي.

ضحك الرجل وهو يرفع سرعة السيارة ويقول: من حسن الحظ أنه توجد «كافيتريا» قريبة منَّا ...

وفعلًا لم تكَد دقائق تمرُّ، حتى كانت السيارة تقف أمام كافتيريا صغيرة. نزل الشياطين بسرعة واتجهوا إلى جانب في الكافتيريا. وعندما وقفوا قالت «هدى» هامسة: هل المكان يصلح لأن نتحدث بحريَّة؟ ...

ابتسم الرجل قائلًا: بلا شك ... فهو يتبع أعمالنا ...

تنفَّس الشياطين بارتياح ... وألقَوا أنفسهم فوق الكراسي، ولم تمضِ دقيقتان حتى كان الجرسون قد أحضر الشاي دون أن يتحدث إليه أحد، كان الطريف أيضًا والذي جعل الشياطين يبتسمون أن الشاي جاءهم في كوبات ... وليس في فناجين ... وقبل أن يُعلِّق أحدُهم كان عميل رقم «صفر» يقول: إنني أعرف أنكم تحبُّون شربَ الشاي في الكوب، وليس في الفنجان.

قطع «أحمد» أيَّ تعليق آخر يمكن أن يُقال وهو ينظر إلى العميل: إننا في انتظار الأخبار الهامة ...

قال الرجل: سوف تتحرك الخطة من مقرِّ عصابة «سادة العالم» في «جيانا» غدًا ... عند آخر ضوء في النهار، وسوف يحملها رجلٌ يُدعَى «براك» ... ويسمونه «الشيطان».

ابتسم الشياطين ... فهم سوف يتعاملون مع شيطان أيضًا ... في نفس الوقت ابتسم الرجل فلم يَفُتْه المعنى، أكمل يقول: إن الخطة مصورة على فيلم، حتى لا يمكن أن يعثر عليه أحد إذا اشتبهَت فيه جهةٌ ما، وطبعًا لن يكون «براك» وحده، فهو سوف يخرج مع حراسة مشددة، قد لا تظهر بشكل مباشر، لكنها في النهاية سوف تكون حوله، وحراسة «براك» تضمُّ مجموعة من أمهر أفراد العصابة ...

سكت لحظة فسأل «أحمد»: هل رأيت «براك»؟

قال الرجل: لم أرَه طبعًا، لكني أعرف أوصافه كاملة، حتى إنني أستطيع أن ألتقطَه من بين ألف رجل ... ابتسمت «هدى» لكنها لم تعلِّق ...

أكمل الرجل: «براك» أو الشيطان رجل نحيف القوام ... نظر إلى الشياطين وكأنه يبحث عن واحد بينهم يمكن أن يكون نحيفًا مثل «براك» لكنه لم يجد، فقال: إن أيَّ واحد فيكم يمكن أن يَصْرعَه بضربة واحدة.

سكت لحظة ثم أضاف: لكن ذلك مستحيلًا.

قال «عثمان» بسرعة: كيف؟

ردَّ العميل مبتسمًا: كيف يمكن أن تصرع الشيطان بضربة واحدة؟

فهم الشياطين أن «براك» شخصية تستحق الاهتمام ليس فقط لأنه يحمل السرَّ الهام، ولكن لأنه من الصعب التغلُّب عليه.

أكمل الرجل: يتمتع «براك» بعينَين نافذتَين حتى إنه يبدو وكأنه ضوء مغناطيسي، أصلع تمامًا فليس في رأسه شعرةٌ واحدة، دقيق الملامح، بجوار أنه أنيق جدًّا، يهتمُّ بمظهره كثيرًا، فيبدو وكأنه أحد نجوم السينما.

صمتَ الرجل لحظةً واستغرق في التفكير، ثم قال: يُجيد عدة لغات؛ وبذلك فهو يستطيع أن يتنقل في أكثر من مكان، ويتحدث لغتَه بنفس الطريقة التي يتحدث بها أهلها، إنه في النهاية شخصية غريبة، ويستحق فعلًا أن يُطلَق عليه لقب شيطان …

كان الشياطين يتابعونه وهو يتحدث باهتمام، وقد علَت وجهَه ابتسامةٌ هادئة، نظر في ساعة يده، ثم ابتسم ابتسامة عريضة، وهو يقول: أرى أنكم لم تشربوا الشاي بعدُ …

ابتسم الشياطين، وعلق «خالد»: إنه فعلًا الشيطان.

بدأ الشياطين يشربون الشاي، وشاركهم العميل … نظر «أحمد» في ساعته، فقال العميل: لا يزال أمامنا ما يكفي من الوقت …

سألَت «هدى»: هل توجد معلومات عن حراسة «براك»؟

ابتسم الرجل قائلًا: كالعادة، إن حوله أمهر رجال العصابة …

سكت لحظة … وهو ينظر إلى وجوه الشياطين قائلًا: ولهذا أعتقد أن المغامرة سوف تكون صعبة …

ثم أضاف بسرعة: لكنها ليست صعبة على الشياطين …

عندما انتهى الشاي، قال العميل: ينبغي أن ننصرف الآن حتى لا يفوتَ الوقت.

بسرعة كان الشياطين قد قفزوا إلى السيارة التي كان يقودها العميل، ولم يكن يمشي بسرعة كبيرة … كان يمشي على مَهَلٍ … في الوقت الذي كان الشياطين يستعيدون حديث العميل عن «براك» أو «الشيطان».

قال «أحمد»: إن طبيعة الأرض هناك سوف تحتاج عملًا غير عادي.

ابتسم العميل قائلًا: كل شيء في انتظاركم هناك؛ فالأرض لا تسمح باستخدام السيارات، وأحسن وسيلة للانتقال هي «الموتوسيكلات»، إن هناك نوعًا حديثًا تمامًا منها في انتظاركم في مكان أمين، سوف أقدِّم لكم خريطة له، وأعتقد أن هذا النوع الذي أطلقنا عليه اسم «الريح»، سوف يساعدكم كثيرًا …

ظهر مطار نيويورك بأضوائه اللامعة … فقالت «هدى»: منظر رائع فعلًا! …

لم يعلِّق أحدٌ؛ فقد بدأت السيارة تُسرع أكثر ... حتى توقَّفَت عند بوابة المطار، حيَّا الجميع عميل رقم «صفر» ثم أخذوا طريقَهم إلى داخل المطار ... ولم تمضِ دقائق حتى كانت الطائرة تحلِّق في الفضاء في طريقها إلى «كراكاس» ...

أخرج «أحمد» خريطةً صغيرة وألقى نظرةً عليها، عرف أنه لا يستطيع أن يحدد المكان المطلوب، إلا عن طريق البوصلة، طوى الخريطة ثم وضعها في حقيبته، ألقى نظرة على الشياطين، كانوا جميعًا مستغرقين في التفكير، عرف أنهم الآن يستعدون، فبعد أقل من ساعتين تبدأ مغامرتهم؛ ولذلك فعندما أعلنت مذيعةُ الطائرة أنهم يقتربون الآن من «كراكاس» حتى تحفز الشياطين، وعندما ربطوا الأحزمة كان هذا يعني أن هذه خطوتهم الأولى إلى عصابة «سادة العالم» ...

بعد قليل كانت الطائرة تأخذ طريقَها إلى أرض المطار ... كان الوقت قبل منتصف الليل بقليل ... غير أن حركة المطار كانت نشيطة ... أسرع الشياطين بمغادرة الطائرة، متجهين إلى خارج المطار وعندما ألقى «خالد» نظرةً سريعة على مكان انتظار السيارات، ابتسم ابتسامة هادئة وهو يقول: إن السيارة في انتظاركم.

أخذ الشياطين طريقَهم إلى حيث توجد سيارة سوداء، علَّقت «هدى» قائلة: إن اختيار هذا اللون جزءٌ من الخطة.

قال «بو عمير»: بالتأكيد ...

ركب الشياطين السيارة، وعندما أغلقوا أبوابها، تردَّد صوتٌ في راديو السيارة يقول: أهلًا بكم في «كراكاس» ... عرف الشياطين أنه أحدُ عملاء رقم «صفر» في عاصمة «فنزويلا»، قال بعد لحظة: أظن أنكم سوف تستمرون في طريقكم إلى هناك.

ردَّ «أحمد»: نعم، إن الوقت لا يسمح.

قال العميل: إن لديَّ رسالةً شفرية من الزعيم، هل أُملِيها عليكم؟

ردَّ «أحمد»: نعم، نحن في الانتظار ...

كان «خالد» يجلس إلى عجلة القيادة، التي كانت موجهةً حسب البوصلة الموجودة في السيارة.

بدأ «بو عمير» يتلقَّى الرسالة الشفرية التي كانت تقول: «٦ – ١٧» وقفة «٩ – ٣ – ٦ – ٢٩» وقفة «١ – ٥٠ – ٢٦» وقفة «٧٠ – ١٢ – ٨ – ٣ – ٢٩» وقفة «١٩ – ٢٤» وقفة «٦ – ٥٠ – ٣٠» وقفة «٢٣ – ٥٠ – ٦» وقفة «٢٦ – ٧٠» وقفة «٦ – ٣٠ – ٢٦ – ٤ – ٣» وقفة «٦ – ١٧» وقفة «٦ – ٣٠ – ٢٨ – ٢٢ – ١٨» وقفة «٤» وقفة «٢٨ – ١٩

– ٦» وقفة «١٨ – ٥٠» وقفة «١٩ – ٧٠ – ١٧» وقفة «١٦ – ٧٠» وقفة «١٣ – ٣ – ٧٠ – ٢٢ – ١٢ – ٢٩ – ١٩» وقفة «١٨ – ٧٠» وقفة «٦ – ٣٠» وقفة «٦ – ٣٠ – ١٨ – ١٦ – ٢٦» وقفة «٦ – ٦٠ – ٥٠ – ٣٠» وقفة «٦ – ١٢ – ١٩ – ١٧ – ٧٠» وقفة «٣٠ – ٢٩ – ١٩» وقفة «٦ – ٣٠ – ١٢ – ٥٠ – ٢٦ – ٧٠ – ٢٨» انتهى.

كانت الرسالة مطولة ... أخذ «بو عمير» يحلُّ رموزها، بينما كانت السيارة في طريقها إلى النقطة «ج»، حيث يبدأ الصراع في نفس الوقت، كان بقية الشياطين ينتظرون حلَّ رموز الرسالة حتى يعرفوا محتوياتها، فجأةً جاء صوتُ العميل: ... هل من أوامر؟

ردَّ «أحمد»: سوف نظلُّ على اتصال حتى نصلَ دائرة النقطة «ج».

ردَّ الرجل: نعم، إن المركز الخاص بالمغامرة سوف يظل في حالة طوارئ حتى ينتهيَ كلُّ شيء، إنني في انتظار رسائلكم ... فإذا وصلَتنا رسائلُ من الزعيم فسوف أنقلها لكم. تحياتي، وتمنياتي بالتوفيق ... شكر «أحمد» الرجل ثم انتهى الاتصال ... في نفس الوقت كان «بو عمير» قد انتهى من حلِّ رموز الرسالة فنقلها إلى الشياطين ...

نظر «أحمد» في ساعة يده، ثم قال: لا بأس ... سوف نَصِل قبل الموعد الذي حدَّده الزعيم.

كانت السيارة منطلقةً بسرعة رهيبة، حتى يمكن الوصول في الموعد المناسب، خصوصًا وأن رقم «صفر» قد حدَّد الموعد الذي سوف يتحرك فيه «براك» ...

كان الليل هادئًا تمامًا ... ولم يكن هناك أيُّ ضوء يظهر على الطريق؛ فقد كانت سيارة الشياطين تمشي في الظلام، ولم تكن في حاجة إلى ضوء يكشف الطريق؛ لأن البوصلة المثبتة فيها قد حدَّدت اتجاهها، وهي في نفس الوقت تقود السيارة على الطريق الصحيح.

فجأةً لمع ضوءٌ قويٌّ في الأفق، قال «عثمان»: يبدو أن هناك مَن يحاول كشْفَ الطريق.

أكمل «بو عمير»: هذه مسألة يمكن أن تكشفَنا ...

بسرعة مدَّ «أحمد» يدَه وضغط زرًّا في التابلوه، فانساب نوعٌ من الغاز غطَّى السيارة تمامًا، وقال: الآن لا يمكن أن تنكشف السيارة مهما كانت الأمور.

بسرعة أخرج الخريطة التي أعطاها له عميل رقم «صفر» في نيويورك، حدَّد النقطة على الخريطة، ثم ضبط مؤشر البوصلة الصغيرة التي يحملها، ونظر في أرقامها. تحدد المكان بالضبط، لم يكن يبعد عن موقع السيارة في هذه اللحظة سوى خمسين كيلو فقط.

قال لـ «خالد»: كم من الوقت نحتاجه لقطع الخمسين كيلومترًا، بدايةً من هذه اللحظة؟

ردَّ «خالد»: بهذه السرعة نحتاج إلى ربع ساعة فقط.

قال «أحمد»: لا بأس ... عندما تقطع خمسين كيلو، اخفض سرعة السيارة إلى أقل سرعة ...

لفَّ السيارةَ صمتٌ ثقيل، جعل الشياطين يتعجلون وصولَهم إلى النقطة المحددة، مرة أخرى لمع ضوءٌ قويٌّ، فقالت «هدى»: يبدو أنها إشارات.

قال «عثمان»: ربما.

أخذ «خالد» يبطئ من سرعة السيارة، حتى أوقفها قائلًا: لقد قطعنا خمسين كيلومترًا.

قال «أحمد»: ينبغي أن نخفيَ السيارة في مكان؛ لأننا سوف نغادرها فورًا، فقد تغيَّرت طبيعة الأرض ...

بسرعة دخل «خالد» في طريق فرعي، ثم أوقف السيارة، فنزل الشياطين بسرعة، وعندما أغلقوا أبوابها، واستعدوا للحركة بعيدًا عنها، حدث ما لم يكن يتوقعوه.

ثم كانت المفاجأة!

لقد شمَلَهم ضوءٌ قويٌّ كشفهم تمامًا، حتى إنهم ذُهلوا للحظة سريعة، لكنهم تصرَّفوا بسرعة، فانبطحوا على الأرض، زاحفين إلى أسفل السيارة، التي لا يستطيع الضوءُ أن يكشفَها ...

غطَّى المكانَ صمتٌ غريب، ولم يكن يُسمَع صوتٌ لأيِّ شيء، ظل الشياطين في أماكنهم ينتظرون ...

فكَّر «أحمد» بسرعة في مصدر الضوء: مَن أين أتى؟!

بدأ الشياطين يتحدثون بلغة اللمس، حتى لا يسمعَهم أحد ... قال «عثمان» عندما سأله «أحمد» عن مصدر الضوء: لا أدري ... لقد كانت لحظةً مفاجئة، ومع ذلك أعتقد أنه جاء من عدة أماكن في وقت واحد!

قال «بو عمير»: إن هذا الضوء يعني أكثر من شيء ... أنهم في انتظارنا، أنهم سوف يتصرفون الآن على أساس وجودنا ... ولذلك أظن أن خطَّتَهم تغيَّرت ...

قال «خالد»: لا أظن، فالمؤكد أنهم لا يعرفون عن تحرُّكِنا أيَّ شيء ...

صمتوا وأخذوا يتسمعون؛ فقد يأتيهم صوتٌ من أيِّ مكان، يمكن أن يحدِّد طريقةَ تحرُّكِهم، لكنهم لم يسمعوا شيئًا؛ لذا فكر «أحمد» بسرعة ثم قال: ما هي الخطوة القادمة هل نتحرك الآن، أم ننتظر قليلًا؟

قالت «هدى»: المهم أن يكون التصرُّف في صالحنا ...

كانت هذه الكلمات من «هدى» كافيةً ليتخذ «أحمد» قرارًا وبسرعة، أصدر قراره للشياطين وقال: سوف نتحرك في مجموعتَين، يمينًا ويسارًا، على ألَّا يكونَ تحرُّكُنا في اتجاهَين متضادَّين، سوف تكون المجموعتان متوازيتَين، تفصل بينهما مسافةُ عشرة أمتار لا يزيد، تضم المجموعة الأولى معي «هدى» و«عثمان».

ثم انتظر لحظة وقال: سوف نبدأ التحرك الآن.

تحرَّكت المجموعتان؛ مجموعة «أحمد» إلى اليمين، ومجموعة «خالد» إلى اليسار. كان الصمت يلفُّ كلَّ شيء، ولم يكن هناك أيُّ ضوء في أيِّ اتجاه.

وضع «أحمد» أُذُنَه على الأرض، ثم تسمَّع، أخذ يركِّز تفكيرَه؛ فقد كان هناك صوتٌ يبدو بعيدًا لكنه كافٍ لأن يحدِّد «أحمد» طريقةَ تصرُّفِه.

أخرج بوصلة إلكترونية دقيقة، ثم وضعها على الأرض مباشرة، اهتزَّ مؤشر البوصلة، وحدَّدَ اتجاهًا ... ضغط زرًّا في البوصلة، فانطلق شعاعٌ غيرُ مرئي في نفس الاتجاه الذي حدَّدَته البوصلة، وظهر رقم فوق الميناء، يشير إلى رقم ١٠٠٠، مدَّ يدَه وأمسك بيد «عثمان» وضغطَه ضغطاتٍ متوالية، فردَّ «عثمان» عليه بنفس الطريقة، كانَا يتفاهمان، وكان «أحمد» ينقل إليه ما حدَّدَته البوصلة، أسرع يُرسل إشارةً سريعة إلى «خالد» و«بو عمير» ... قال لهما ما حدَّدَته البوصلة، فجاءه ردُّ «خالد»: سوف ننضمُّ إليكم حالًا في نفس الاتجاه.

زحفت المجموعة الأولى في الاتجاه المحدد ... فكر «أحمد»: إن النقطة «ج» تبعد عن ذلك بخمسين كيلومترًا، وهذا يعني أن هذه ربما كانت نقطةَ حراسة متقدمة.

نظر في ساعته الإلكترونية، وقال لنفسه: لا تزال هناك ساعات حتى يتحرك «براك» من مكانه.

مرة أخرى أكَّد لنفسه: إنها نقطة حراسة بلا جدال ...

تقدَّمت المجموعةُ شعَر «أحمد» بدفء جهاز الإشارات، فوضع يدَه عليه، كانت هناك إشارة من «خالد» يقول فيها: «إنهما يتقدمان في خطٍّ موازٍ لهما تمامًا، ولا يبعد سوى عشرة أمتار ...»

أخرج من جيبه جهازَ الرصد، وثبَّته على الأرض، اهتزَّ مؤشرُ الجهاز وحدَّد رقمًا، كان الرقم ٥٠٠. قال في نفسه: إن هناك أحدًا على بُعد ٥٠٠ متر فقط ...

أرسل رسالة سريعة إلى «خالد» يحدِّد له المسافة، في نفس الوقت نقل إلى «هدى» و«عثمان» نفس المعلومات ...

ظل تقدُّمُهم مستمرًّا ... فجأةً أصدر جهازُ الرصد صوتًا خافتًا؛ فتوقَّف «أحمد» وتوقَّف «عثمان» و«هدى». قال «أحمد» بطريقة اللمس: إن أحدًا بجوارنا الآن؛ فقد رصَد الجهاز شيئًا.

فجأة ارتفعَت طلقةُ إضاءة، فكشفت المكانَ كلَّه، إلا أن «أحمد» كان سريعَ التصرف؛ فقد أطلق قنبلةَ دخان غطَّتهم تمامًا، في نفس الوقت فعل «خالد» نفسَ الشيء ...

وبسرعة كانت «هدى» تتصرَّف التصرفَ المكمل لتصرُّفِ «أحمد»؛ فقد صوَّبت طلقةَ غاز إلى نقطة محددة، وكانت هي النقطة التي انطلقَت منها طلقةُ الضوء ... ولم تمرَّ دقيقة، حتى كان سعالُ بعضِ الرجال يرتفع، أمسك «أحمد» يدَ «هدى» وضغط عليها مهنِّئًا على تصرُّفِها ...

في نفس الوقت كان «خالد» و«بو عمير» يزحفان بسرعة في اتجاه أصوات الرجال ... كان ضوء الطلقة قد تلاشى، وغرق المكان في الظلام ... لكن صوت الرجال كان كافيًا ليكشف موقعهم.

اتجه الشياطين بسرعة إلى الموقع، وفي لحظة كانت المعركة قد بدأت ...

وجَّه «أحمد» ضربةً إلى أول رجل قابلَه، فدار الرجل حول نفسه وقبل أن يسقط كانت «هدى» قد تلقَّته بضربة فورية، فسقط الرجلُ على الأرض، همس «أحمد» لها: راقبي الموقف؛ فقد يحدث شيء لا نتوقعه.

في نفس اللحظة كان «خالد» قد التحم بأحد الرجال في معركة، وقد فاز عليه ...

رأى «أحمد» «عثمان» وقد اشتبك مع آخر، في الوقت الذي أخرج أحدُهم مسدسَه ليصوِّبَه في اتجاه «عثمان» ... كان «أحمد» أسرعَ منه؛ فقد أخرج خنجرَه وقذفه به بقوة فأصابه، وقبل أن يفكر كان يطير في الهواء وضربَه ضربةً جعلَت الرجلَ يدور مقتربًا من «بو عمير» الذي كان قد ضرب أحدَهم فأسقطه على الأرض، فعاجل الآخر بضربة قوية جعلَته يطير في الهواء ثم يسقط.

فجأةً شمل المكانَ ضوءٌ قويٌّ جعل الشياطين يتوقفون للحظة سريعة، إلا أن «هدى» كانت في انتظار ما يحدث، فأسرعَت بإلقاء قنبلتَي دخان انفجرتَا فغطَّت المكانَ سحابةٌ كثيفة من الدخان، جعلت الرجالَ يتهاوون الواحد بعد الآخر.

أما الشياطين فقد كانوا أسرعَ إلى أخذ الكبسولات المضادة للدخان، فابتلعوها.

قال «أحمد» بسرعة: إنني أتوقع هجومًا شاملًا الآن.

ثم أضاف: علينا أن نقيد هؤلاء الرجال، ثم ننسحب حتى لا يضيعَ الوقت.

ردَّ «عثمان»: ينبغي أن نقضيَ على الهجوم القادم قبل أن نقعَ في مصيدة أخرى.

ردَّ «أحمد»: لا داعيَ الآن؛ فقد تكون هذه الهجمات من أجل تعطلينا ...

في الوقت الذي كان يدور فيه هذا الحوار، كانت عمليات قيد الرجال قد انتهت ... قال «أحمد»: علينا أن نُخبِّئَهم في أقرب مكان ... جُرُّوهم الواحد بعد الآخر، وفي ظلِّ تلٍّ صخري أخفوهم ...

في الوقت الذي كانت «هدي» تمحو آثارَ جرِّ الرجال حتى لا يُكتشفَ مكانهم كانت سحابة الدخان قد بدأت تخفُّ؛ فأطلق «أحمد» قنبلتَين أخريَين وهو يقول: يجب أن ننسحب بأقصى سرعة …

انسحب الشياطين في الاتجاه الذي حدَّدته البوصلة، حيث يوجد ما أشار إليه عمل رقم «صفر» في «كراكاس» … كانت النقطة تبعد كيلومترًا واحدًا، قطَعه الشياطين في سرعة البرق، بالرغم من أن الأرض كانت صعبة … فتلالُ الرمل وقِطَعُ الصخور كانت تعطِّلُهم بجوار أن المسارات المعروفة للتقدم لم تكن تظهر في الظلام …

عندما أشارَت البوصلة إلى المكان المحدَّد، اتجه «أحمد» بسرعة إليه. كان عبارة عن مغارة لا يستطيع أحدٌ العثورَ عليها، وداخلُها كانت تقف خمسة موتوسيكلات حديثة، حتى إن «عثمان» هتف في فرح: رائع، كم كنتُ أتمنَّى أن أجد واحدًا منها … وفي لمح البصر كان الشياطين فوق الموتوسيكلات التي كانت موجهةً بردارات صغيرة تُثبَّت في مقدمة الموتوسيكلات، كان ذلك يعطي الشياطين فرصةَ التقدم بسرعة؛ لأن الموتوسيكل يعرف طريقَه جيدًا، بجوار أنها موتوسيكلات بلا صوت. انطلق الشياطين في طابور واحد، يتقدَّمهم «أحمد»، وفي الليل كانوا يشقُّون طريقهم إلى النقطة «ج» كما هو محدَّد، ولم تكن الخمسون كيلومترًا بالمسافة الطويلة، نظرًا لسرعة الموتوسيكلات، كما أن الردارات المُثبَّتة فيها كانت تجنِّبهم وعورةَ الطريق.

في نفس الوقت كان يحميهم ارتفاعُ الجبال حولهم؛ فقد كان تقدُّمُهم يتمُّ في مسار ضيق وسط الجبال، لكنهم لم يتوقعوا وسط بداية الصدام، ما حدث فجأة …

بدأ المطر في النزول … كان مطرًا عاديًّا في البداية … لكنه أخذ يتكاثف ويشتد، حتى يمكن القول إنَّ قِرَبًا من الماء كانت تُصَبُّ فوقهم … وتحول الطريق ليصبح أكثرَ وعورة، فقد امتلأ مسارُهم بالماء، واختلط بالتراب، إلا أن ما حدث خفَّف الموقف قليلًا، لقد ظهرت نقطةٌ حمراء في مقدمة الموتوسيكل تُشير لسهم إلى مكانٍ …

مدَّ «أحمد» يدَه في اتجاه السهم، كانت هناك نقطةٌ حمراء واضحة، ضغط عليها، فانفتح بابٌ صغير وظهرت قطعةٌ من القماش، جذبها فإذا بها تنتشر وتُصبح كالمظلة، وضعها «أحمد» فوق جسمه ففعل الشياطين نفسَ الشيء، لكن المظلة لم تكن مظلةً حقيقية، فقد كانت «سويتر» مضادًّا للماء، اكتشف «أحمد» ذلك بسرعة فلَبِسه، ونفذ الشياطين نفسَ طريقته، بعدها لم يُصبح المطرُ عائقًا أمامهم … أصبح العائقُ الوحيد هو الطريق … الذي امتلأ بالطين؛ ولذلك كانوا يتقدمون ببطء …

قال «أحمد»: أخشى أن يفوتَنا الوقت.

مرَّت لحظة قبل أن يقول «خالد»: من الضروري أن يكون الموتوسيكل مزودًا بشيء ضد الطرق الطينية …

أخذ «أحمد» يبحث في الأزرار الكثيرة الموجودة أمامه، وفجأة قال: هذا صحيح.

ضغط «أحمد» أحدَ الأزرار وفي لحظة كان الموتوسيكل ينطلق بطريقة سهلة، وكأنه عربة الزحلقة فوق الجليد، أو الاندفاع فوق الماء … وقبل أن ينقل إلى الشياطين تعليماتِه، كانوا قد نفَّذوا نفسَ الشيء …

ووسط الأمطار الغزيرة، والطرق الطينية، كانت موتوسيكلات الشياطين تنطلق في سرعة، وكأنها فوق طرق مجهَّزة، نظر «أحمد» في ساعة يده، ثم قال: حتى الآن لا يزال الوقت في صالحنا …

وما كادت تنتهي جملتُه حتى دوَّى انفجارٌ في نفس المنطقة التي يمرون بها … اهتزت الموتوسيكلات بالشياطين وكادوا يفقدون توازنهم … إلا أنهم تصرَّفوا بسرعة فقد أوقفوا الموتوسيكلات … ثم نظروا حولهم ولم يكن هناك أيُّ أثر للانفجار …

قال «بو عمير»: لا بد أنه انفجار نتيجة تفريغ هوائي.

لم يردَّ أحدٌ لحظة، غير أن ما قاله «بو عمير» كان هو المبرِّر المعقول.

قال «خالد»: نحن إذن هدفٌ بالنسبة لهم، لا بد أن أخبارًا وصلَت إليهم بوجودنا في المنطقة خاصة بعد معركتنا السابقة.

قال «أحمد»: إن هذا يؤكد أن المعركة كانت مع نقطة حراسة متقدمة.

رفعت «هدى» رأسَها، وأنصتَت فتَبِعها الشياطين، لقد كانت هناك أصواتٌ تتردَّد من بعيد. قالت «هدى»: إنه صوت موتوسيكلات.

ابتسم «عثمان» وقال: إذن فليلحقوا بنا …

رفع «أحمد» يدَه مشيرًا إلى الانطلاق، وعندما أنزل يده، انطلق الشياطين في صفٍّ واحد خلف بعضهم … ورغم أن الشياطين كانوا ينطلقون بسرعة عالية، إلا أن الأصوات التي سمعوها كانت تقترب أكثر فأكثر … حتى إن «أحمد» تحدَّث في جهاز الإرسال إلى الشياطين: ينبغي أن نفكر في طريقة فإنهم يقتربون منا بسرعة.

أجابت «هدى»: إنها حيلة قديمة، لكنها مؤكدة، فلنُوقع بهم.

أعطى «أحمد» إشارة فتوقَّف الجميع، وبسرعة كانوا يسحبون الموتوسيكلات على جانبي الطريق فعلى جانبي الطريق يرتفع جبلان …

وقال «أحمد»: سوف نمدُّ سلكًا بين الجبلَين …

وبسرعة كانت «هدى» تنضمُّ إلى «أحمد» و«عثمان»، وفي الجانب الآخر كان يختبئ «خالد» و«بو عمير»، وبين المجموعتين كان يمتدُّ سلكٌ رفيع لا يظهر خصوصًا مع خيوط المطر المتساقط، فيبدو كأنه جزءٌ منها.

ظلَّت الأصوات تقترب، أرسل «أحمد» إشارة إلى «خالد» و«بو عمير»: «كونَا على استعداد؛ فاللحظة القادمة حاسمة ولا بد أن ينتهيَ خلالها كلُّ شيء.»

اقتربت الأصواتُ أكثر … وعند منحنى طريق لمع ضوءٌ … فَهِمت «هدى»: لقد وصلوا.

تحفَّز الشياطين على الجانبَين، مرَّت دقائق ثم ظهرَت الموتوسيكلات في سرعة عالية جدًّا، وعندما تقدَّم أولها اصطدم بالسلك، فطار في الهواء في الوقت الذي اصطدم به الآخرون في نفس اللحظة …

كان الشياطين قد خرجوا من خلف الجبل، وانقضُّوا عليهم في قوة، كانوا أربعة لكن أحدًا لم يكن يستطيع أن يفعل شيئًا؛ فقد كان اصطدامُهم ببعض عنيفًا، حتى إنهم تجاوروا على الأرض التي بلَّلَها المطر، بينما كانت الموتوسيكلات لا تزال تدور، وهي مُلقاةٌ على جانبَي الطريق …

قال «أحمد» بسرعة: إنها فرصة فلنترك الموتوسيكلات دائرة، فهي يمكن أن تشغل مَن يأتي خلفنا، إذا كان هناك أحد …

في لحظة، كان الشياطين ينطلقون متقدمين إلى هدفهم … غير أن ما حدث لم يكن يخطر لهم على بال، فلم يكادوا يقطعون بعض المسافة حتى لمع ضوءٌ من بعيد … فقال «بو عمير»: يبدو أن مجموعةً أخرى في الطريق …

نظر «أحمد» في ساعة يده، ثم قال: إن ما حدث هو نوع من تضييع الوقت بالنسبة لنا، إن «براك» لا بد أن ينطلق مع الفجر، وإلا فإن خُطَطَهم جميعًا سوف تفشل … ولم يكَد ينتهي «أحمد» من كلامه حتى ظهرَت أمامهم ساحةٌ واسعة؛ فالطريق يتسع في هذا المكان حتى يبدوَ كأنه ميدان … فكَّر «أحمد» بسرعة: هل هي خطة أن يُدخلوهم في هذا المكان؟ … قال في نفسه: لا بأس … إنها فرصة طيبة بالنسبة لنا …

قال «أحمد» لبقيةِ المجموعة: ينبغي أن نقطع هذه الساحة بسرعة حتى لا ننحصرَ وسطها.

وعندما أصبحوا على مشارفها، رفعوا السرعة ليقطعوا الساحة قبل أن يقعوا في المصيدة، لكن قبل أن يتجاوزوا منتصفها حدثت المفاجأة …

صراع تحت المطر

فكأنَّ الأرض قد انشقَّت عن مجموعة من الرجال الأشدَّاء ... ظهروا تحت الضوء الشديد الذي غمر المكانَ فجأة، في نفس الوقت ازداد تساقُط المطر غير أن الشياطين لم يتوقَّفوا ... فقد اتجه «خالد» بالموتوسيكل إلى الرجال في محاولة للاصطدام بهم ... إلا أنهم كانوا مستعدِّين لحركة «خالد»؛ فقد طار أحدُهم في الهواء، وضرب «خالد» ضربةً أطارَته من فوق الموتوسيكل، غير أنَّ «أحمد» كان قد انطلق في اتجاههم هو الآخر، وقبل أن يَصِل إليهم ترك الموتوسيكل وقفز في الهواء فاتحًا ساقَيه، ومتَّجهًا ناحيتهم. انشغل الرجال بالموتوسيكل، وكانت فرصةً ليضرب «أحمد» اثنين منهم، أطاح بهما حتى نهاية المساحة ...

أما «بو عمير» فقد اتجه إليهم بسرعة هائلة، ثم فجأة انحرف عنهم واتجه دائرًا بعيدًا عن مكانهم، فانزعج الرجالُ لأول وهلة ... كانت فرصةً استغلها «عثمان» وحقَّق نفس التجربة التي خاضها «بو عمير» فتفرَّق الرجال ...

كان «خالد» قد استردَّ قُواه نتيجة اصطدامه بالجبل؛ فاندفع لأقرب رجل واشتبك معه في صراع قوي، ولم تنتظر «هدى»؛ فقد اندفعَت بالموتوسيكل في اتجاه الرجل الذي يصارع «خالد». وعندما اقتربَت منه، غيَّرت اتجاهها فجأة، فاصطدمَت مؤخرة الموتوسيكل بالرجل فأطاحَت به بعيدًا ...

وارتفعت حرارة المعركة ... فقفز «عثمان» بالموتوسيكل، وقد رفع عجلته الأمامية، وسار فوق الخلفية فقط، فبدَا وكأنه في سيرك، ثم اندفع في اتجاه أحد الرجال، حتى إن الرجل اضطرَّ أن يقفز في الهواء، حتى لا يصدمَه «عثمان» الذي ترك الموتوسيكل في نفس اللحظة، واندفع إلى الرجل ليضربَه ضربةً قوية جعلَت الرجل يصطدم بالجبل، ويسقط على الأرض تحت المطر، ولم تكَد تنقضي نصفُ ساعة حتى كان الرجال قد تناثروا فوق طين الساحة ...

قال «أحمد»: ينبغي أن نُسرعَ، فلم يَعُد أمامنا وقت.

انطلق الشياطين متجاوزين الساحة، بعد أن تركوا ضحاياهم حتى إن «هدى» تساءَلت: ألم يكن من الأفضل أن نُخفيَهم؟

ردَّ «بو عمير»: لم يَعُد هناك داعٍ لذلك؛ فقد وضح الموقف.

كان الطريق بعد الساحة مرتفعًا، أخذَا في الارتفاع ... فقال «عثمان»: يبدو أننا في طريقنا إلى قمة الجبل.

أخذ الطريق يرتفع أكثر فأكثر، وأصبح التقدم أكثر صعوبة ...

قال «خالد»: ألَا ينبغي أن نترك الموتوسيكلات ونقطع الطريق على أقدامنا؛ فإن ذلك أسرع وآمن خصوصًا أننا نقترب من المكان؟

ردَّ «أحمد» بسرعة: يجب أن نقطع معظم الطريق، بجوار أن الموتوسيكلات تُعطي فرصةً أكبر للمناورة.

تقدَّموا حتى أصبح من الصعب أن يستمروا في الطريق بالموتوسيكلات لارتفاع الطريق؛ لذا توقَّف «أحمد» ثم قال: هنا ينبغي أن نترك الموتوسيكلات.

في جانب من الجبل تركوا الموتوسيكلات، بعد أن نزعوا منها مفاتيحها، حتى لا يستخدَمها أحد، وتقدَّم «أحمد» المجموعةَ في الطريق إلى النقطة «ج» ... قال «أحمد»: عليكم باستخدام الخناجر؛ فإن الطريق يرتفع كثيرًا عند المقدمة.

أخرج الشياطين خناجرَهم استعدادًا لأيِّ لحظة يمكن أن تُفاجِئَهم ... فجأةً تردَّد وقوعُ بعضِ الصخور في مكان قريب، توقَّف الشياطين، نظر «أحمد» في ساعته، كان يفكر: هل يمكن أن يكونوا قد قدَّموا الموعد، خصوصًا بعد المعارك التي حدثَت؟

ردَّ بينه وبين نفسه أيضًا: من المؤكد أنه حدث، وربما تكون أصوات الصخور التي سقطَت ليلًا على ذلك.

أخرج «أحمد» جهازَ الكشف من جيبه، ثم وجَّهه ناحيةَ الصوت، وضغط زرًّا فيه، تحرك مؤشر الجهاز. نظر «أحمد» إلى الشياطين، وقال: هناك أحد في الجانب الآخر ...

مرَّت لحظة قبل أن يقول مرة أخرى: ينبغي أن نرى الجانب الآخر. في نفس الوقت لا يجب أن نترك هذا الطريق ...

بسرعة انقسم الشياطين إلى مجموعتَين ... ضمَّت المجموعة الأولى «أحمد» و«هدى» و«خالد»، وضمَّت المجموعة الثانية «عثمان» و«بو عمير» ...

قال «أحمد»: عليكم بالتقدم في الطريق، وسوف ننتقل نحن إلى الجانب الآخر، على أن تكون الرسائل متبادلة بيننا باستمرار، ويكفي ضغطةٌ واحدة على جهاز الإرسال لنفهم أن الأمور عادية، فإذا كانت ضغطتَين تكون المجموعة في حاجة إلى نجدةٍ …

بدأ «أحمد» و«هدى» و«خالد» يتركون الطريق الرئيسي إلى الجبل، ويدخلون بين الصخور إلى الاتجاه الآخر … في الوقت الذي استمر «عثمان» و«بو عمير» في طريقهما …

أخذ المطر يخفُّ قليلًا، حتى أصبح عاديًّا … مجرد رذاذ مستمر، كان ذلك مساعدًا لهم على التقدم أسرع، غير أن الظلام كان كثيفًا تمامًا، إلا أنهم كانوا يتقدمون تبعًا لبوصلة تُحدِّد لهم الهدف، وتكشف لهم في نفس الوقت مكانَ العدو، وفجأةً تردَّد صوتُ حجر يسقط، تسمَّع «أحمد» قليلًا، ثم قال: إنهم أقرب إلينا مما نتصور.

أخرج جهاز الكشف، ووجَّهه في اتجاه مصدر الصوت، لمعَت نقطةٌ حمراء، اتَّجه إليها مؤشرُ الجهاز، وبلغةِ اللمس قال «أحمد»: ينبغي التصرف بحذر شديد. فكَّرت «هدى» لحظة ثم أخرجَت قنبلةَ دخان وأسقطَتها بعيدًا … لحظة ثم بَرِق البرق فكشف نورُه المكانَ في لمحة سريعة لم تفلت من الشياطين … دوَّى الرعدُ في قوة، وتردَّد صدى الصوت في الجبال الصامتة الموحشة … فكأنَّ طبول الحرب قد دُقَّت.

عرَف الشياطين موقعَ الأجسام التي تتحرك وابتسمَت «هدى» ابتسامةً لم يرَها أحدٌ لشدة الظلام؛ فقد جاءت قنبلةُ الدخان في نفس المكان، لحظة ثم بدأ سعالُ الرجال يرتفع، وبدأَت أصواتهم تظهر، قال واحد منهم: إنك سوف تكشف وجودَنا بسعالك.

لكنه أنهى جملتَه بسعاله هو الآخر، ثم توالَى الجميع … قال «أحمد» بلغة اللمس: لقد فكرتُ جيدًا يا «هدى»، إن هذه فرصتنا ويبدو أنهم ليسوا كثيري العدد.

صمت لحظة ثم قال: سوف نبدأ بعد ثلاث نُقَط …

انتظر «خالد» و«هدى» مسافة ثلاث نُقَط، ثم فجأة قفز الثلاثة قفزة واحدة، فاستقروا فوق الرجال الذين كانوا لا يزالون يسعلون، ولم تكن قفزة الشياطين لمجرد الاقتراب منهم … فقد ضربَت «هدى» وهي طائرة في الهواء أحدَ الرجال فصرخ؛ فقد كانت الضربة مفاجئة؛ لأنه لم يرَ «هدى» وسط الظلام الكثيف … ولم يكن بقيةُ الرجال أسعدَ حظًّا؛ فقد كان «أحمد» و«خالد» قد ضربَا ضرْبتَهما حتى جعلَت أحدَهم يصرخ: لقد ظهرَت شياطين الليل!

ابتسم «أحمد» وهو يوجِّه ضربةً عنيفة، فتردَّدت صرختُه بين أنحاء الجبل، كان الظلام مساعدًا جيدًا للشياطين في معركتهم السريعة … ولذلك فقد أضاء أحدُ رجال

العصابة مصباحًا صغيرًا، كان كفيلًا بكشفه، وقبل أن يتحرك حركة واحدة كان «خالد» قد انطلق في الطريق إليه، فأصابه ووقع المصباح على الأرض.

صرخ آخر: إننا فعلًا نتعامل مع شياطين غير منظورة …

فلم يكن رجال العصابة يعرفون أن الشياطين يحملون أجهزة مشعَّة، يمكن أن تكشفَ لهم ما أمامهم دون أن يظهروا؛ ولذلك لم تستمرَّ المعركة كثيرًا، لكن الذي جعل «أحمد» يشعر بالقلق هو الجملة التي قالها أحدهم: أين السيد «براك»؟

فقد عرَف «أحمد» أن ما فكَّر فيه، كان صحيحًا، وأن «براك» مع هذه المجموعة، لكن أين هو؟ … أسرع إلى جهاز الكشف، ودار به دورة كاملة بطيئة بينما كان «خالد» و«هدى» يُجهِزون على آخِر مَن بقيَ من الرجال … تحرَّك مؤشر الجهاز، فتوقَّف «أحمد» في نفس الاتجاه، انضمَّ إليه «خالد» و«هدى»، فقال: إن «براك» في هذه المنطقة وقد تحقَّق ما فكرتُ فيه، خرج «براك» قبل موعده …

سكت لحظة، ثم أضاف: إن علينا أن نستدعيَ «بو عمير» و«عثمان»؛ فالمعركة الفاصلة سوف تكون هنا …

بسرعة أرسل «أحمد» إشارة إلى «بو عمير» يطلب منه الانضمام عند النقطة «ب» … ثم قال: ينبغي أن نتجهَ إلى «براك» مباشرة … ويبدو أنه وحده.

ما إن انتهى «أحمد» من جملته … حتى تناهَى إلى سمعِ الشياطين أصواتُ كلاب …

قال: لقد بدأت المعركة النهائية.

تحرَّك بسرعة، فتَبِعه «خالد» و«هدى» في الاتجاه الذي حدَّده مؤشر جهاز الكشف …

قال: إن «هدى» سوف تكون مهمتها التعامل مع الكلاب …

أجابت «هدى»: إنني جاهزة تمامًا … تقدَّموا …

لكن فجأة وصلَت إليهم إشارةٌ من «بو عمير» عن طريق الشفرة … كانت تقول: إن مجموعة من رجال العصابة قد خرجَت لتوِّها من مقرِّهم، هل نتعامل معهم؟ …

نقل «أحمد» الرسالة إلى «هدى» و«خالد» الذي قال: لا داعي للاشتباك الآن … إنها محاولة حتى يفلت «براك» وربما أخذ الخطةَ رجلٌ آخر، حتى لا يعرفَ أحدٌ مع مَن هي بالضبط، إن مهمَّتَنا هي «براك» نفسه، ولا يجب أن يعطِّلَنا شيءٌ عنها …

ردَّ «أحمد»: هذه حقيقة … وبسرعة ردَّ على «بو عمير» يطلب منه ألَّا يشتبكَ مع أحد، وأن ينضمَّ إلى النقطة «ب» … في تلك الأثناء أخذ المطرُ يزداد أكثر، في نفس الوقت تردَّد في الليل صوتُ الرعد … وكأن الجبل سوف يقع، ثم تلاه ضوءُ البرق اللامع السريع، يكشف الجبل كاملًا، غير أن مغارات الجبل لا يستطيع أحدٌ أن يكشفَها بهذه السرعة أيضًا …

اقترب صوتُ الكلاب، حتى بدَا وكأنه بجوارهم؛ فقد كان النباح يتردَّد في جَنَبات الجبل، فيبدو وكأنهم قد علَّقوا مكبراتِ صوتٍ على أفواه الكلاب …

أسرع الشياطين في اتجاه المؤشر. فجأةً ظهرَت على سطح المؤشر دائرةٌ حمراء، عرف «أحمد» أن هناك إنسانًا عند هذه النقطة … قرأ الرقم الذي تقف عنده الدائرة الحمراء، كان ٥٠٠، عرف أن هذا الإنسان يقف على بُعْد ٥٠٠ متر فقط … فقال لـ «خالد» و«هدى»: إن هذه فرصتنا حتى ننتهيَ قبل أن يصلَ أحد … وقبل أن تكون الكلابُ شريكًا في المعركة …

سكت «أحمد» لحظةً … ثم أضاف: سوف ننتشر في دائرة ضيقة تمامًا حتى يمكنَ أن نغطِّيَ المساحة الموجودة بها هذا الشخص، وعلى كلٍّ منَّا أن يتحرك بحريته …

ثم قفز من فوق صخرة كانوا يقفون خلفها … كان المطر لا يزال يَهْطِل بقوة … فيسمع في الليل وقْع المطر فوق الصخور، في نفس اللحظة قفز «خالد» ثم قفزَت «هدى»، وتفرَّق الثلاثة داخل الدائرة التي حدَّدها «أحمد»، غيرَ أنه لم تمضِ دقائق حتى صدرَت صرخةٌ أفزعَت «أحمد»، لقد كانت الصرخة لـ «هدى». أسرع في اتجاه الصوت، لكنه ما كاد يتقدم عدة خطوات حتى أحسَّ وكأن الجبل قد سقط فوقه فوقَع على الأرض، لكنه لم يبقَ مكانه؛ فقد تدحرج بسرعة مبتعدًا عن المكان حتى لا يكونَ عُرضةً لضربة أخرى، وعندما عرف أنه أصبح بعيدًا بما يكفي … قفز واقفًا، لكنه — مرة أخرى — تعرَّض لضربة قوية أطاحَت به … كان الانحدار كبيرًا في هذه المنطقة من الجبل، وكان هذا يعني أنه سوف ينتهي لقوة الضرب … إلا أنه بسرعة تشبَّث في صخرة متوسطة الحجم أوقفَت انحدارَه إلى الهاوية …

وفي لمح البصر كان «أحمد» يُخرج قنبلةَ ضوءٍ حتى يكشفَ وجودَ «هدى»، وعددَ الذين يتحركون، قذَف القنبلةَ بقوة فظهر الجبلُ جميعُه، ورأى «أحمد» ما لم يكن يخطر له على بالٍ … كان الجبل يبدو وكأنه زُرع بالرجال، أرسل رسالةً سريعة إلى الشياطين: «سوف أستخدم قنابل الدموع، خذوا حِذْرَكم وافعلوا نفس الشيء.»

أخرَج عددًا من قنابل الدموع، ثم أرسل إشارة إلى الشياطين … لتنطلق القنابل في وقتٍ واحد، وعندما جاءت اللحظة، انطلقَت قنابلُ الدموع، لتغطِّيَ المنطقةَ كلَّها … بعد دقائق أطلق قنبلةَ ضوء، حتى يرى بوضوح ما حدث … ولم يتمالَك نفسه، فكتَم ضحكة … لقد رآهم جميعًا يتخبَّطون، وهم يدعكون عيونهم، في نفس الوقت رأى مجموعة الشياطين قد تجمَّعَت عند نقطة معينة، فعرف أن «هدى» قد استطاعَت التصرف، وأن أحدًا من الشياطين قد لَحِق بها … لفَت نظر «أحمد» أن صوت الكلاب قد توقَّف، واختفى تمامًا؛

قال لنفسه: هل هي كلاب مدرَّبة؟! ... أو أن شيئًا قد حدث؟! ... أو ربما تكون قنابل الدموع قد انتشر غازُها في المنطقة كلها!

لحظةً ثم قال «أحمد» في نفسه: «براك» أين «براك» الآن؟

في نفس اللحظة جاءَته رسالةٌ من الشياطين: ماذا عن «براك»؟ ...

وقبل أن يردَّ عليهم كانت مجموعةٌ من الكلاب الضخمة قد ظهرَت في المكان، وكما ظهرَت فجأة ارتفع نباحُها بشكل غريب، فجأة أيضًا ... وفي لمح البصر، كانت تأخذ طريقَها إلى الشياطين، في نفس الوقت الذي اتجه اثنان فيها إليه؛ قال في نفسه: مسألة غريبة! ... وكأن الكلاب تعرف مهمتَها جيدًا! ...

فجأةً أصدر جهازُ الاستقبال صوتًا ... وقف حائرًا بين صوت الجهاز والكلبَين اللذَين يتقدمان إليه كالصاروخ. في لحظة كان قد أخرج مسدسه وثبَّت فيه حقنةً مخدرة، وما إن اقترب الكلبان حتى صوَّب مسدسَه إليهما، وأطلق الحقنة فسقط أحدُ الكلبَين، لكن الآخر كان قد قفز في قوة حتى سقط فوق «أحمد» الذي كان مستعدًّا لهذه الحركة؛ فقد تلقَّى الكلب بين ذراعَيه ... ثم سقط به على الأرض، في نفس اللحظة التي كانت طلقةٌ قد خرجَت من مسدسه لتستقرَّ في صدر الكلب، إلا أنها لم تقضِ عليه؛ فقد قفز الكلب مرة أخرى فوق «أحمد» الذي تدحرج مبتعدًا، وهو يصوِّب مسدسَه في اتجاه الكلب، الذي ما إن سقط على الأرض حتى كانت طلقة أخرى قد استقرَّت في رأسه ...

وقف «أحمد» بسرعة ونظر تجاه الشياطين ... كانوا يقفون في شكل عادي، بينما الكلاب قد نامَت أمامهم ... فعرف أن الشياطين قد استخدموا الحُقَن المخدرة أيضًا ...

في نفس الوقت كان رجال العصابة قد بدءوا يستردُّون وعْيَهم ويُفيقون؛ فقد أثَّر المطرُ في قوة غازات الدموع.

لكن لم تكن هذه هي القضية، فمن بعيد شاهد «أحمد» ضوءًا يتحرك في سرعة، مبتعدًا عن المكان ... فقال في نفسه: إنه «براك» ويبدو أن خطَّتَهم قد نجحَت في النهاية ...

وبسرعة أعطى إشارة إلى الشياطين فغطوا المكان بقنابل الدموع، وفي لمح البصر كانوا قد بدءوا مطاردة الضوء الذي كان يبتعد ...

«أحمد» يفجِّر سيارة «براك»

كان واضحًا أن الضوء يبتعد بسرعة كبيرة ... فقال «بو عمير»: واضحٌ أن الحركة لا تتمُّ بالأقدام، ولا بد أنهم يتحركون بسيارة مثلًا ...

أسرع الشياطين إلى منطقة الموتوسيكلات، كان النزول سهلًا من أعلى الجبل؛ ولذلك لم يستغرقوا وقتًا، لكنهم قبل الوصول إلى الكهف الذي خبَّئوا فيه الموتوسيكلات، حدثَت حكايةٌ غريبة، ففجأة تهاوَت قِطَعٌ من الصخور من أعلى الجبل، حتى إن «عثمان» كاد يُسحَقُ تحت صخرة ضخمة لولا أن «أحمد» دفعَه دَفْعةً قوية بعيدًا، فجأةً صرخ «بو عمير»: احذر!

كانت هناك صخرة أخرى تكاد تسقط فوق «أحمد» لكنه تبعًا لصرخة «بو عمير» قفز قفزة مبتعدًا، كانت لحظة غريبة؛ فقد ظلَّت قِطَعُ الصخور تتساقط ... وبعد أن كانت قِطَعًا صغيرة بدَأت تزداد حجمًا.

قالت «هدى»: إن ذلك يُعطِّلنا تمامًا ويُعطيهم الفرصة للهرب ...

وأضاف «بو عمير»: إننا يمكن أن نُحاصَرَ في هذه المنطقة فكأنهم يصنعون حولَنا سجنًا من الضوء.

نظر «أحمد» في اتجاه الضوء الذي يتحرك في الليل، كان لا يزال يبتعد بنفس السرعة، فقال: ينبغي أن ننزل معتمدين على جسم الجبل، بعيدًا عن الطريق الذي تكاد الصخور أن تسدَّه.

قفز الشياطين متشبِّثين بجسم الجبل، واعتمدوا على خناجرهم. غرس «أحمد» خنجرَه في شقٍّ بين صخور الجبل ثم تعلَّق به وقفز قفزةً إلى الأمام، وأخذ الشياطين يتبعون نفس الطريقة، لكن الوقت كان يمرُّ بسرعة في حين كانوا يتقدمون ببطء؛ ولذلك عليهم أن يجدوا طريقةً تُعطيهم الفرصة في التقدم بسرعة، فكَّر «أحمد» ثم قال: «بو عمير» انتظر فسوف

أتقدَّم لمدِّ سلكٍ تعتمد عليه، حتى نستطيعَ أن نُسرعَ أكثر ... وبسرعة أخذ «أحمد» يتنقَّل برشاقة ... حتى قطع مسافة كافية للابتعاد عن خطر الصخور التي كانت لا تزال تتساقط، ثم ثبَّت خُطَّافًا جبليًّا ومدَّ منه سلكًا صلبًا، ثم قذف بخطَّاف آخر في اتجاه «خالد» الذي كان ينزل خلفه، فأخذه «خالد»، وقذف به إلى «هدى» ... ثم إلى «عثمان» وأخيرًا إلى «بو عمير» الذي كان ينتظر في المؤخرة. ثبَّت «بو عمير» الخطاف الصُّلب في شقٍّ صخرة ضخمة ثم جذبَه بقوة ليختبرَه، وأطلق صفيرًا فَهِمه «أحمد» الذي جذَب السلك بقوة وتأكَّد من قدرته على احتمال أثقال الشياطين ... هزَّ السلك عدة اهتزازات فَهِمها الشياطين، فبدءوا يعتمدون على السلك في النزول، فأعطاهم فرصةً في قطع المسافة بسرعة، وعندما وصلوا عند «أحمد» أمسك «بو عمير» السلك، ثم هزَّه بطريقة معينة عدة مرات، ثم جذبَه مرة واحدة فترك مكانه في شقِّ الصخرة ...

قفز «أحمد» في اتجاه كهف الموتوسيكلات، وعندما كاد يدخل الكهف، حتى تلقَّاه أحدُهم بضربة قوية، جعلَته يرتدُّ بسرعة، كان هذا كافيًا ليعرف الشياطين أنهم أمام معركة جديدة ... أسرعَت «هدى»، وأخرجت قنبلةَ دخان، ثم قذفَت بها في اتجاه باب الكهف، إلا أن القنبلة اصطدمَت بالصخر، وسقطَت عند الباب ...

أسرع «خالد»، فأخرج قنبلةً أخرى، وقفز قفزة واسعة، أوصلَته إلى باب الكهف، فألقَى القنبلة الدخانية داخله، ثم ارتدَّ بسرعة، فجأةً دوَّى الرعد، فأضاء البرقُ المكانَ، وكانت لحظةً مناسبة؛ فقد شاهد الشياطين ثلاثة من الرجال يخرجون، وهم يدعكون عيونهم، ولم ينتظروا فقد انقضوا عليهم، ولم تمضِ دقيقتان حتى كان الرجال الثلاثة يرقدون على الأرض بلا حَراك ...

وفي لحظة كان الشياطين يركبون موتوسيكلاتهم، وينطلقون في سرعة، نظر «أحمد» في اتجاه الضوء، كان قد اختفى تمامًا. قال في نفسه: هل نجحوا في خطَّتهم، واختفى «براك» بخطته؟ ...

أوقف «أحمد» الموتوسيكل، فدُهش الشياطين، وقالت «هدى»: ماذا هناك؟

أخرج «أحمد» جهازَ الكشف ثم وجَّهه في الاتجاه الذي اختفى فيه الضوء، تحرَّك مؤشر الجهاز، فابتسم «أحمد» عرف أن صاحب الضوء قد اختفى في مكان. تساءلَت «هدى» مرة أخرى: ماذا حدث؟ ...

قال «أحمد»: إن حامل الضوء يختفي في مكانٍ أمامنا ...

نظر إلى الجهاز، وقرأ الرقم، كان ٢٠٠٠، فقال: إنه على بُعْدِ ألفَي متر فقط، وهذا يعني أننا يمكن أن نكون عنده في خمس دقائق.

انطلقَت الموتوسيكلات مرة أخرى، لكن فجأةً انهمر بين المطر وابلٌ آخر من طلقات الرصاص كانت تصطدم بالصخور، فترنُّ، كان واضحًا أن مَن يُطلقونها لا يُحدِّدون هدفًا؛ فالظلام كثيف.

قال «أحمد»: خذوا حِذْرَكم؛ فقد تُصيب طلقةٌ طائشة واحدًا منَّا.

ولم يكَد ينتهي «أحمد» من جملته حتى رنَّت طلقةٌ في موتوسيكل «خالد»، فانحرف عن طريقه حتى اصطدم بالجبل وألقى «خالد» بعيدًا، غير أن ذلك لم يكن صعبًا على «خالد» الذي تلقَّى الصدمة برشاقة؛ فقبل أن يَصِل الموتوسيكل إلى صخور الجبل، كان قد قفز في الهواء، ونزل واقفًا على الأرض، في نفس اللحظة رنَّت طلقةٌ بجواره، فقفز من مكانه مرة أخرى.

وفي لمحة كان «بو عمير» يقترب منه بسرعة، قفز خالد خلفه وترك الموتوسيكل، الذي كان قد تعطَّل تمامًا ... واستمر «بو عمير» خلف مجموعة الشياطين.

كانت الطلقات لا تزال ترنُّ خلفهم، وأصبح واضحًا أن مَن يُطلقون الرصاص لا يزالون يُطلقونها على هدف ثابت، وهو المنطقة التي تجاوزوها.

وصلَت المجموعة إلى النقطة التي حدَّدها الجهاز، فتركوا الموتوسيكلات عند منحنًى يدور في ظل الجبل، أخرج «أحمد» الجهازَ ثم ضغط زرَّه، فتحرك المؤشر وحدَّد رقم ٥٠.

قال «عثمان»: ينبغي أن نستخدم جهازَ التصنت. إنه يمكن أن يحدِّدَ لنا النقطة بالضبط، بجوار أنه يمكن أن يحدِّدَ عددَ الموجودين أيضًا.

أسرع وأخرج فراشة إلكترونية، وجَّهها حسبَ توجيهِ المؤشر ثم أطلقها. انتظر الشياطين وهم يقفون تحت المطر الغزير، نظر «أحمد» في ساعته، ثم قال: سوف يطلع الفجر بعد ساعة واحدة، وهذا يعني أننا لا بد أن ننتهيَ من المغامرة خلال هذه الساعة.

فجأةً أعطى جهاز الاستقبال إشارة، فَهِم الشياطين أن الفراشة الإلكترونية قد وصلَت إلى النقطة المطلوبة، وأنها بدأَت تُرسل إشاراتِها. كان شريط التسجيل يسجل ما تُرسله الفراشة، أخذ «أحمد» الشريط، ووضع مكانَه شريطًا آخر، ثم بدأ يستمع إلى الشريط الأول ... مرَّ جزءٌ من الشريط بلا صوت، إلا صوت تنفُّس ثم سعال أحدهم، كان الشياطين في انتظار كلمة تُقال ... فجأةً جاء صوتٌ يقول: هل تعتقد أنهم في انتظارنا، أو أنهم يعرفون مكاننا الآن؟

مرَّت لحظةُ صمت، ثم قال صوت آخر: إن مجموعة الرجال القادمة سوف تكون هي الحلَّ الوحيد ...

نظر الشياطين إلى بعضهم ... همس «أحمد»: إن ضربتنا الآن ضرورية قبل أن ندخل معركة جديدة لا ندري نتائجها.

بسرعة أخرج الشريط الآخر، ووضع الأول، ثم بدءوا يستمعون، جاء صوتٌ رفيع جعل «أحمد» يركِّز انتباهه تمامًا، قال الصوت: مسألة غريبة، لولا جواسيسنا لكنَّا قد وقعنا من أول لحظة.

همس «أحمد»: إنه صوت «براك»، كما وصفه عميل رقم «صفر» في «كراكاس». جاء صوت «براك» مرة أخرى: لقد تأخر الوقت، ولا أدري إن كان الزعيم قد أصدر تعليماتِه بتأجيل الموعد أم لا؟

ردَّ آخر: أظن أن الزعيم لا يعلم بما حدث؛ فالسيد «فيزون» نائبه لن يُبلغَه بشيء قبل أن يفقد الأمل تمامًا ...

كانت هذه المعلومات كافية حتى يضربَ الشياطينُ ضربتَهم الأخيرة. قال «أحمد»: أعتقد أن هذا يكفي وأن علينا أن نضرب ضربتنا ...

أعطى إشارة البدء. وعندما تحرَّك الشياطين كانت المفاجأة الجديدة، لقد ظهرَت مجموعةٌ من الرجال سبق ظهورَهم ضوءٌ قويٌّ غطَّى المنطقةَ كلَّها — فأصبح كلُّ شيء واضحًا — ومع ظهور الضوء والرجال انطلقَت طلقاتُ الرصاص التي فاجأت الشياطين، لكن ذلك لم يكن النهاية؛ فقد كان تقدُّمُهم بحذرٍ كفيلًا بأن يُعطيَهم فرصةَ النجاة؛ فقد قفزوا يمينًا وشمالًا بطريقة بارعة، في الوقت الذي أسرعَت فيه «هدى» — وهي تقفز — بإلقاء عدة قنابل دخان انفجرَت قبل أن تَصِل «هدى» إلى الأرض، وكان هذا كفيلًا بأن يحميَ الشياطين؛ فقد ظهرَت الطلقات طائشة وبلا هدف ... فقد غطَّى الدخانُ المنطقة التي يقف فيها أفرادُ العصابة ...

ووقف الشياطين خارج منطقة الدخان في انتظار مَن يظهر منهم ... ولم تمرَّ دقائق حتى ظهر أولهم، أسرع إليه «خالد» ثم عاجلَه بضربة قوية ... جعلَته يسقط.

في نفس اللحظة، خرج واحد من جانب آخر فأسرع إليه «عثمان»، فاصطدم الرجل بقَدَمِ «عثمان» ثم سقط على الأرض، كانت لحظة طريفة، فكأن أفراد العصابة قد وُضِعوا في سجن من الدخان ...

أخرج «أحمد» الشريط من جهاز الاستقبال واستمع إلى إشارات الفراشة الإلكترونية، جاء صوت «براك» يقول: هذه فرصتنا الأخيرة للهرب، فإنهم مشتبكون ...

سكت لحظة، ثم أضاف: هيَّا من الباب الآخر.

استمع «أحمد» إلى هذه الكلمات، فنظر إلى «عثمان» وقال: هيَّا بنا؛ فقد يُفلتون منَّا ...

أسرع «أحمد» و«عثمان» بينما بقيَ «خالد» و«بو عمير» و«هدى» للخلاص من الرجال المسجونين داخل منطقة الدخان ...

انحرف «أحمد» يمين الجبل، ثم أخرج جهاز الكشف. تحرَّك المؤشر إلى اتجاه ... رفع «أحمد» عينَيه إلى نفس الاتجاه، فرأى ضوءًا صغيرًا يتحرك بسرعة، قال لـ «عثمان»: إن «براك» يتحرك بسرعة، ولا يمكن أن يكون على قدمَيه ...

أسرع «أحمد» و«عثمان» إلى مكان الموتوسيكلات ورَكِب كلٌّ منهما واحدًا، ثم انطلقَا في اتجاه الضوء، كان ضوء النهار قد بدأ يتسلل إلى الكون، وكانت تفاصيلُ قليلةٌ من ملامح الأشياء تبدو بصعوبة، في نفس الوقت كان المطر لا يزال ينهمر بغزارة، حتى إن «عثمان» قال: شيء غريب ذلك المطر الذي لا ينقطع!

أجاب «أحمد»: إن هذه طبيعة المناطق الاستوائية. ومع ظهور ملامح الأشياء، ظهرَت الدهشة على وجه «أحمد»؛ كانت هناك سيارة غريبة الشكل تتحرك بسرعة عالية.

نظر مقدمةَ الموتوسيكل، كان مؤشرُ سرعتهِ يُشير إلى أن سرعة الموتوسيكل تَصِل إلى مائة وعشرين كيلومترًا في الساعة ...

قال «أحمد» لنفسه: إن هذا يعني أنه ينطلق بسرعة تَصِل إلى مائة وأربعين كيلومترًا، وهذا يعني أنه يستطيع أن يفلت منَّا ... وإذا وصل إلى المدينة؛ فإن المسألة سوف تكون أكثر تعقيدًا ...

ولذلك ضغط «أحمد» زرًّا في الموتوسيكل جعل السرعة ترتفع إلى مائة وثمانين كيلومترًا، وعندما رأى «عثمان» سرعةَ «أحمد» رفَع هو الآخر سرعتَه إلى نفس السرعة. بعد قليل كادَا يقتربان الآن من السيارة الصغيرة الغريبة، ولم تمضِ دقائق حتى كانَا قد اقتربَا منها معًا، أخرج «أحمد» مسدسَه، وأطلق طلقةً على إطار السيارة حتى ينفجر، لكن الطلقة ارتدَّت من الأمطار وطاشَت في الهواء.

علَت الدهشةُ وجهَ «عثمان» وهو يرى ما حدث! ... أخرج هو الآخر مسدسَه وأطلق طلقةً على زجاج السيارة الخلفي، لكن مرة أخرى اصطدمَت الطلقةُ بالزجاج ثم ارتدَّت في الهواء.

قال «أحمد» في نفسه: إنها مُجهَّزة ضد الرصاص ... نظر إلى «عثمان» الذي كان منطلقًا بجواره ... إنها سيارة مُذهلة، لكنها سوف تنتهي بعد لحظة ...

أخرج «أحمد» جهازًا دقيقًا من حقيبته السحرية، ثم وضعه في فوَّهة المسدس، لكن فجأة انحرف به الموتوسيكل — فقد كان يقود بيد واحدة ويجهز المسدس بيده الأخرى — لكنه استطاع أن يعود بالموتوسيكل إلى توازنه، ثم ثبَّت اتجاه الموتوسيكل بضغطة على أحد

أزراره. ورفع يده بالمسدس ثم ضغط الزناد؛ فانطلق الجهاز الدقيق الذي يمثِّل صاروخًا ينجذب إلى عادم السيارة.

وفي لمح البصر كان الصاروخ يأخذ طريقَه إلى «شاكمان» السيارة؛ حيث يخرج دخان العادم ثم التصقَ به، وما هي إلا دقيقة واحدة حتى كانت السيارة قد توقَّفت تمامًا، أوقف «أحمد» الموتوسيكل فتوقَّف «عثمان» هو الآخر، وأمسك جهاز الإرسال وتحدَّث إلى «براك»: السيد «براك» ينبغي أن تستسلم قبل أن أُضطرَّ إلى تفجير السيارة بكاملها ...

فجأة، انطلقَت عدة طلقات من خلفية السيارة في اتجاه «أحمد» و«عثمان»، وفي لمح البصر كان الاثنان يقفزان في الهواء، فطاشَت الطلقات في الهواء ...

انبطح الاثنان على الأرض، فجأةً بدأ دخان كثيف يخرج من السيارة، ليتسرَّب إلى المنطقة كلها، فقال «أحمد»: إن «براك» يحاول أن يهرب منَّا ...

زحف حتى الموتوسيكل، ثم ضغط زرًّا فيه ... فانطلق ضوءٌ قويٌّ في اتجاه السيارة يخترق الدخان الكثيف، فكشف كلَّ شيء. انتظر «أحمد» و«عثمان» لحظة، فُتح باب السيارة ... ثم نزل «براك» وتَبِعه آخر ...

أخرج «عثمان» حقنةً مخدرة ثبَّتها في فوهة المسدس، ثم أحكم الإطلاق، وضغط الزناد، فانطلقت الحقنة في اتجاه «براك»، ولم تمرَّ دقيقة حتى كان «براك» يتهاوَى إلى الأرض، أسرع معاوِنُه إليه، يحاول أن يساعده ... كان الدخان لا يزال يتكاثف، لكن ضوء الموتوسيكل كان يخترقه ليظلَّ كلُّ شيء أمام «أحمد» و«عثمان» واضحًا تمامًا! ...

قال «أحمد»: ينبغي تفجير السيارة، حتى ينتهيَ هذا الدخان ... ثبَّت صاروخًا آخر في مسدسه، ثم أطلقه في اتجاه موتور السيارة، وما هي إلا لحظة حتى انفجرَت وارتفعَت ألسنة اللهب منها، أسرع «أحمد» و«عثمان» إلى حيث منطقة الدخان الذي أخذ ينقشع، وعندما اقتربَا من «براك» الراقد على الأرض، حتى فاجأهما الرجل الآخر بقفزةٍ رائعة وضربةٍ أطاحَت بهما معًا، لكن «أحمد» كان من السرعة بحيث كانت قفزتُه أسرعَ من استعداد الرجل؛ ضربَه بقوة فتلقَّى الرجل الضربة ببراعة وسدَّد ضربةً أقوى إلى «أحمد»، إلا أن «عثمان» كان قد انضمَّ إليه، فأمسك بيده قبل أن تَصِل إلى «أحمد» وضربَه ضربةً قوية جعلَته يصرخ ...

في نفس الوقت كان «أحمد» قد سدَّد إليه مجموعةَ ضربات سريعة متتالية، فسقط في النهاية بلا حَراك ...

أما «براك» الذي بدأ يُفيق فإنه لم يستطع أن يفعل شيئًا؛ فقد كان «أحمد» و«عثمان» قد أوثقَا يدَيه ... في نفس اللحظة وصلَت مجموعةُ الشياطين التي كانت تُتابِع ما يحدث عن طريق أجهزة الإشارة ...

لكن فجأة ... ظهرَت مجموعة من السيارات من نفس النوع الذي كان يركبه «براك» ... فقال «خالد»: هذه معركة قادمة ...

لكن قبل أن تَصِل السيارات كانت طائرات سلاح الطيران الفنزويلي قد أخذَت تقترب من المكان، وهي تُرسل إنذاراتِها، وعندما نزلَت الطائرات الهليوكوبتر على الأرض، كان «أحمد» قد استطاع أن يعثر على الفيلم الذي يحمل تفاصيل الخطة في ثياب «براك» ...

وبسرعة أرسل إلى رقم «صفر» الذي ردَّ يُهنِّئُهم على نجاحهم ويُطالب عودتهم سريعًا ... فهناك مغامرة أخرى أكثر عنفًا من مغامرتهم التي انتهَوا منها، والتي كان اسمها السري «مدار السرطان».

هنـــداوي